تفسير نشأة الكون بين فرضية المُصادفة ونظرية التصميم الذكي
- (دراسة عقديَّة نقديَّة مقارنة)

The Interpretation of the Origin of the Universe Between the Principle of Chance and the Theory of Intelligent Design: A Critical Comparative Study

إعداد:

By:

د. ساره بنت سعود العنزي

Dr. Sarah bint Saud Al-Anzi

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد بقسم الدراسات الإسلامية –

كلية الشريعة والقانون – جامعة الجوف

Assistant Professor of Creed and Contemporary Doctrines

Department of Islamic Studies – College of Sharia and Law

Al-Jouf University

البريد الإلكتروني:

Email:

ssaud@ju.edu.sa

ملخص البحث

يتناول البحث فرضية المصادفة ونظرية التصميم الذكي في تفسير نشأة الكون **بدراسةٍ** عقديةٍ نقديةٍ مقارنةٍ، **مشكلة البحث** تتمثَّل في التساؤل الرئيسي التالي: ما الفرضية المتسقة علميًا ومنطقيًا مع تفسير نشأة الكون: المصادفة أم التصميم الذكي؟ واتبع البحث **المنهج** الوصفي التحليلي النقدي من خلال استعراض المفهوم الفلسفي لكلٍّ من المصادفة والتصميم الذكي، وتتبُّع نشأة كل من الفكرتين تاريخيًا، ثم عرض الحجج الفلسفية و الأدلة العلمية الداعمة لكل رأيٍ، مع مناقشة أبرز الانتقادات التي واجهتها كل فكرةٍ، ثم بيان صلة تلك الموازنة بتوحيد الربوبية ، **من أبرز نتائج البحث** أن المقارنة بين الفرضيتين تُظهر أن فلسفة المصادفة رغم اعتمادها على المنهج التجريبيّ والعلميّ إلا أنها عاجزةٌ عن تقديم تفسيرٍ مقنعٍ لجميع درجات التعقيد الحيوي والكوني، وبالمقابل تقدّم نظرية التصميم الذكي بُعدًا تفسيريًا أوسع يمتاز بأدلةٍ أشمل تسدُّ بعض الثغرات المنهجية والعلمية، مع الحاجة إلى المواصلة في استدراك التحديات البحثية في المجال التجريبي للتحقق من موثوقية أدلَّتها. كما أن التصميم الذكي هو الدليل العلمي العقلي الأنسب في محاجَّة الملحدين ودفع شبهاتهم.

كلمات مفتاحية: المُصادفة، التصميم الذكي، نشأة الكون، مقارنةٌ، عقدية، نقديةٌ.

❁❁❁

Abstract

This study addresses the hypothesis of Chance and the Theory of Intelligent Design in explaining the origin of the universe through a doctrinal, critical, and comparative study. The main **research problem** is represented by the following central questions: Which hypothesis is more consistent scientifically and logically in explaining the origin of the universe — chance or intelligent design? The study employs a descriptive, analytical and critical **methodology** by reviewing the philosophical concept of both chance and intelligent design, tracing the historical evolution of each idea, and presenting the philosophical arguments and scientific evidence supporting each viewpoint, along with discussing the main criticisms faced by each idea. It also clarifies the relationship of this comparison to the concept of *Tawhid al-Rububiyyah* (the oneness of divine lordship in Islamic doctrine). Among the main **findings** of the study is that the comparison between the two hypotheses shows that the philosophy of chance, despite relying on empirical and scientific methods, is unable to provide a convincing explanation for all levels of biological and cosmic complexity. In contrast, the Theory of Intelligent Design offers a broader explanatory dimension characterized by more comprehensive evidence that addresses some methodological and scientific gaps, while also highlighting the need to continue addressing research challenges in the experimental field to verify the reliability of its evidence. Additionally, intelligent design is seen as the most suitable scientific and rational evidence in arguing against atheists and refuting their doubts.

Keywords: chance, intelligent design, origin of the universe, comparison, doctrinal, critical.

مُقَدِّمَة

تُعدّ مسألة نشأة الكون وتفسير وجوده من أعمق القضايا التي شغلت الإنسان عبر العصور، وقد اختلفت تفسيرات المفكرين لهذا النشوء، فذهب بعضهم إلى أن الكون نشأ بالمصادفة العمياء دون غايةٍ أو تخطيط، وذهب البعض الآخر بأنه نتيجة تصميم ذكي محكم يدُّل على إرادةٍ واعيةٍ تقف وراءه. وفي ظلِّ التقدِّم العلميّ وتطور المعارف الفيزيائية والرياضية، ظهرت أدلة حديثة تستند إلى معادلات علمية وأدلة تجريبية تدفع لإعادة النظر وإثارة النقاش حول كفاءة كل من الطرحين في تفسير نشأة الوجود. ويأتي هذا البحث؛ ليقارن بين فرضية المصادفة ونظرية التصميم الذكي، من حيث المفهوم، والأصول التاريخية، والأدلة المؤيدة والمعارضة، ويهدف إلى تقديم دراسة منهجية توازن بين المعطيات العلمية والتحليلات العقلية، حتى يَتبيَّن مدى قدرة كل من الرؤيتين على تقديم تفسير عقلاني لنشأة الكون.

مشكلة البحث:

تتمثل إشكالية البحث في السؤال الرئيسي: ما الفرضية المتسقة علميًا ومنطقيًا مع تفسير نشأة الكون: المصادفة أم التصميم الذكي؟

ويتفرع من هذا السؤال بعض الأسئلة الفرعية:

- ما المراد بالمصادفة؟ وما الجذور التاريخية لها؟ وما أبرز الأدلة الفلسفية والعلمية الداعمة لها؟
- ما المقصود بنظرية التصميم الذكي؟ ومتى ظهرت؟ وماهي الأسس والأدلة العلمية المؤيدة لها؟
- ما الفرق بين النظريتين من ناحية المفهوم والجذور الفكرية؟ وما مدى قوة وانسجام أدلة كلٍّ منهما مع المعطيات العلمية الحديثة؟ وما أبرز الاعتراضات عليهما، وما الأثر الناتج على الاعتقاد بهما على سلوك الفرد؟
- ما أثر الموازنة بين فرضية المصادفة ونظرية التصميم الذكي على توحيد العبد؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

١. تحديد مفهوم المصادفة ومعرفة الجذور التاريخية لها وتحليل أهم الأدلة الفلسفية والعلمية الداعمة لها.

٢. بيان مفهوم نظرية التصميم الذكي وتاريخ ظهورها ومعرفة الأسس العلمية التي تستند إليها.

٣. تقديم دراسة مقارنة بين الطرحين، من حيث المنهجية والمنطلقات الفكرية وقوة الأدلة واتساقها مع المعطيات العلمية وأثر كلٍّ منهما على سلوك الفرد.

٤. بيان أثر الموازنة بين فرضية المصادفة ونظرية التصميم الذكي على توحيد العبد.

أهمية البحث:

١. تتجلى أهمية البحث في معالجته لقضية تعدُّ من أهم قضايا الفكر الإنساني، وهي تحديد أصل الكون وتفسير العوامل التي أدت إلى نشأته فبينما تعتمد بعض النظريات العلمية المعاصرة فرضية المصادفة بوصفها تفسيراً ممكناً لنشأة الكون، تبرز نظرية التصميم الذكي باعتبارها رؤية مقابلة ترى في انتظام القوانين الكونية وبنائها الدقيق دليلًا على تخطيط مسبق من مصمم ذكي.

٢. إن هذا البحث يقدم مقارنة تحليلية تجمع بين البعد العلمي والفلسفي، مما يساعد على تقييم مدى قوة وصلاحية كل من الرؤيتين لتفسير النشأة الكونية ضمن الإطار الموضوعي المنهجي.

٣. يُسهم البحث في فتح باب الحوار بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية حول قضايا الوجود وتصور الإنسان عن ذاته ومكانه في الكون.

٤. يقدم هذا البحث إضافة في طرق دعوة الملحدين أو المتشككين الذين يبحثون عن الأدلة العلمية التجريبية في إثبات الخالق للكون.

ومن ثم، يُعد هذا البحث مساهمة علمية وفكرية في فهم أعمق لأصل الكون ومصدره.

الدراسات السابقة:

أولاً: في ضوء استعراض الدراسات المتعلقة بتفسير نشأة الكون وأصل الحياة، يمكن تصنيف البحوث السابقة في هذا الموضوع إلى مجموعتين رئيسيتين:

أولاً: بحوث نقدية لفرضية الصدفة

١. عبد الفتاح فتحي حمودة (٢٠٢٣م). «فرضية الصدفة في نشأة الكون: عرض ونقض». مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٩٣. هدفت هذه الدراسة إلى توضيح دلالة المادية الإلحادية وصورها، وإيضاح مفهوم الصدفة ودعائمها المزعومة، ثم ناقشت نقض القول بالصدفة والعشوائية بالاستناد إلى الضبط الدقيق في الكون، وشواهده العلمية. من أهم نتائج البحث أنّ الاكتشافات العلمية الحديثة تستحيل معها مقولة الصدفة، وقد أقرّ العديد من العلماء بوجود ضبطٍ دقيقٍ في القوانين الكونية.

٢. عماد الدين عبده العجيلي (٢٠٢٣م). «الصدفة في ميزان الفلسفة والعلم والدين: دراسة تحليلية نقدية». مجلة الزهراء- كلية الدراسات الإسلامية والعربية – جامعة الأزهر، العدد ٣٣. تهدف هذه الورقة إلى ربط فرضية الصدفة بالفكر المادي الإلحادي ثم دحض الأدلة المؤيدة لها بواسطة مناقشة براهينها العقلية والعلمية. وخَلُصت إلى أنّ دعوى الصدفة لا تصمد أمام الأدلة العقلية، وأنّها تؤدي إلى قبول ما يتعارض مع المستحيل العلمي.

ثانياً: بحوث حول نظرية التصميم الذكي

١. فوزية بنت عبد المحسن العبد الكريم (١٤٤١هـ). «نظرية التصميم الذكي في ضوء التصور الإسلامي للوجود: دراسة نقدية». مجلة العلوم التربوية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ٢٣. بحثت هذه الدراسة مدى انسجام مبادئ التصميم الذكي مع التصور الإسلامي للوجود، مع إبراز أوجه التشابه والاختلاف بينها وبين المدارس الغربية السائدة في تفسير الوجود. وخَلُصت إلى أنّ التصميم الذكي يمتاز بمرجعية علمية تتماشى مع التصور الإسلامي للوجود.

٢. الوهيبة عمراني (٢٠٢٢ م). «التصميم الذكي: نظرية علمية تتحدى الداروينية». مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- الجزائر، العدد ٤. تستعرض هذه الورقة الخلاف القائم بين داروينية التطور ونظرية التصميم الذكي، وتقارن بينهما من منظورٍ علمي، مبينةً أن نظرية داروين قابلة للمراجعة والانتقاد، فيما يمكن اعتبار التصميم الذكي بديلاً علميًا متينًا قد يفوقها في تفسير نشأة الحياة.

ثالثاً: الإضافة العلمية

على الرغم من إسهام هذه الدراسات في تفنيد الصدفة ودعم التصميم الذكي بشكل منفصل، فإنّها تظلّ محدودةً بتركيزها على فرضية واحدة دون ربطها بالفرضية المقابلة. ومن ثمَّ، تظهر الحاجة إلى دراسةٍ تحليلية نقدية تجمع بين فرضيتي المصادفة والتصميم الذكي؛ لتقديم رؤية شاملةٍ تساعد القارئ على بناء يقين علمي وفلسفي متكامل حول تفسير نشأة الكون والحياة. ويهدفُ هذا البحث إلى سدّ هذه الفجوة من خلال مقارنةٍ موضوعيةٍ بين الفرضيتين، وتحليل مدى تكاملهما أو تعارضهما من خلال الأدلة العقلية والعلمية والدينية ومن ثمَّ يعد إضافة علمية في هذا المضمار، إضافة إلى أن هذه الدراسة سعت إلى جمع الأدلة الفلسفية والعلمية التي تؤيد فرضية المصادفة وعرضها بطريقة ميسرة للفهم مما يميّز هذا البحث عن الدراسات السابقة المذكورة في المصادفة، كما أن ذكر أهم الانتقادات لأدلة نظرية التصميم الذكي مع بيان الرد عليها، وبيان أثر النظريتين في الجانب الأخلاقي، ومدى ارتباط هذه الموازنة بتوحيد الربوبية يعد طرح جديد في هذا المجال.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة الدراسة أن تستند إلى مجموعة من المناهج العلمية، على النحو التالي:

١. المنهج الوصفي التحليلي: الذي يقوم بدراسة الظاهرة موضوع البحث من خلال عرض مفهومها، ومقوماتها، ومظاهرها الأساسية، بعد جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بها وتتبعها، ثم تحليل هذه المعطيات لتكوين رؤية تفسيرية واضحة وشاملة عنها.

٢. المنهج الاستنباطي يعتمد على قواعد الاستدلال العقلي لاستخلاص النتائج من المبادئ العامة، حيث يستند إلى الحقائق العلمية القائمة لبيان مدى قوة الفرضية أو وإظهار أوجه القصور فيه.

٣. المنهج النقدي: الذي يُعنى بالردود العلمية، والعقلية، والشرعية، فمن خلاله يتضح مدى قوة الفرضية وتماسكها أو ضعفها وسقوطها.

التبويب:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فتضمنت مشكلة البحث، أهداف البحث، أهمية البحث، الدراسات السابقة وما يضيفه البحث، منهج البحث. وجاءت الخطَّة على النحوِ التالي:

المبحث الأول: فرضية المصادفة، مفهومها، أشهر القائلين بها، أهم دعائمها.

المبحث الثاني: نظرية التصميم الذكي، تعريفها، نشأتها، أُسسها.

المبحث الثالث: مقارنة نقدية بين فرضية المصادفة ونظرية التصميم الذكي.

المبحث الرابع: أثر الموازنة بين فرضية المصادفة ونظرية التصميم الذكي على توحيد العبد.

الخـاتمة وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

فرضية المصادفة، مفهومها، أشهر القائلين بها، أهم دعائمها

المطلب الأول

تعريف المصادفة

المصادفة لغة: الصدفة من الفعل (صَدَفَ) الصاد والدال والفاء أصلان: الأول: يدل على الميل، والثاني: عرض من الأعراض[1]. يقال: صدف عنى، أي أعرض. وأصدفني عنه كذا وكذا، أي أَمالَني. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، أي أعرض إعراضاً شديداً[2]،والصَدَفُ :كل شيء مرتفع، مثل الهدف. وصادَفْتُ فلاناً: وجدته [3]. وتصادفا تقابلا على غير وعد[4].يتضحُ من المعنى اللغوي للمصادفة أنها تدل على معنى الإعراض والميل عن الشيء أو حصوله دون قصد.

تعريف المصادفة في الاصطلاح: ورد في المعجم الفلسفي أن الصدفة:" الأمر الذي لا يمكن تفسيره بالعلل الفاعلة، ولا بالعلل الغائية"[5] ،فالمصادفة بناءً على هذا التعريف تعني عدم وضوح العلل المفسرة لحدوث الشيء. كذلك هناك من أضاف على ذلك القيد غياب التخطيط المسبق للشيء قبل حدوثه فقال في تعريفها: "الصدفة كلمة تعني انعدام السبب الفاعل، والسبب الغائي، وهذا يستلزم غيبة النظام، وغياب العناية والقصد"[6]، ومن التعريفات المذكورة في المصادفة أنها: "ما يخرج على النظام والقانون المعروف، ولا يبدو له سبب ولا غاية واضحة، وهو أشبه ما يكون بالاتفاق، ومعناه ما يحدث عرضاً ولا تعرف له أسباب واضحة "[7]. ومنهم

(١) "مقاييس اللغة"، ابن فارس (٣/ ٣٣٨).

(٢) "المفردات في غريب القرآن"، الراغب الاصفهاني، ص٤٧٨.

(٣) "الصحاح"، الجوهري (٤/ ١٣٨٤).

(٤) "المعجم الوسيط"، إبراهيم مصطفى وآخرون (١/ ٥١٠).

(٥) "المعجم الفلسفي"، جميل صليبا (٢/ ٣٨٣).

(٦) "العقيدة والفكر الإسلامي"، سلطان محمد هشام، ص ٨٦.

(٧) "المعجم الفلسفي مجمع اللغة العربية"، ١٨٥.

من عرَّفها بقوله: "الصُدفة اتفاق مجهول العلة، أو تزامن لسلسلتين علّيتين مستقلّتين، أو هي سلب الضرورة"[1]. وذكر أحد العلماء المعاصرين أن المعنى الجوهري للصدفة يتمثل في: "الحالة التي تنتج عن تقاطع سلسلتين سببيتين مستقلتين عن بعضهما استقلالًا تامًا"[2]. ومنهم من عرَّف المصادفة بأنها خلو النظام الكوني من الإله، وهذا معنى انتهجه الملاحدة حيث يعتقدون أن وجود العالم بما فيه من كائنات كان صدفةً، ولا يمكن تفسيره بأن له علة فاعلة ولا علة غائية[3].

ولعل أرسطو أول من حدّد معنى المصادفة، حيث ذكر بعض الجوانب المهمة التي تميزها عن باقي أنواع الموجودات، فصنف الموجودات إلى ثلاثة أنواع: ما يحدث بالطبع (أي بشكل طبيعي)، وما هو بالصناعة أو الفن (أي ما يتم صنعه أو ابتكاره بواسطة البشر)، وما هو بالمصادفة (أي ما يحدث عن طريق الصدفة أو الحظ). ووفقاً لرأي أرسطو المصادفة هي تلك الأحداث التي تحدث بدون تخطيط سابق ويبدو أنها تحقق نتائج كما لو كانت هناك نية مسبقة وراءها. ومن منطوقٍ آخر أرسطو يرى أن المصادفة لقاء عرضي يشبه اللقاء المقصود، ولكن بدون تخطيط أو توقع للنتائج، والتي رغم ذلك تحقق نتائج قد تبدو وكأنها تحمل غاية محددة[4].

والمصادفة عند المحدثين تطلق على معنيين: أحدهما ذاتي و الآخر موضوعي ، أما التعريف الذاتي فهو القول: إن المصادفة هي الأمر الذي يبدو لنا مخالفًا للسويّ من الطبائع، كالحوادث المتعلقة بالشخص الإنساني، أو بأمواله ومصالحه، فإنها إذا كانت مخالفة للنظام المألوف، ومستعصية على التنبؤ كان وقوعها بالمصادفة، وأما التعريف الموضوعي فهو أن المصادفة هي الأمر الذي لا يمكن تفسيره بالعِلل الفاعلة ولا بالعلل الغائية، أما الأول، فمثاله الأمر المتولد من تلاقي سلسلتين من الأسباب المستقلة، وأما الثاني فمثاله الأمر الذي ليس له غاية واضحة[5].

(١) "المعجم الفلسفي"، عبد المنعم الحنفي، ص ١٦٦.

(٢) "المصادفة والضرورة: محاولة في الفلسفة الطبيعية للبيولوجيا الحديثة"، جاك مونو ، ص١١٥.

(٣) " الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية"، آمال بنت عبد العزيز العمرو، ص ٥٥٢.

(٤) "المعجم الفلسفي"، صليبا (٢/ ٣٨٣).

(٥) "المعجم الفلسفي"، صليبا (٢/ ٣٨٤).

والمصادفة كمفهوم في الفلسفة العربية تستعمل ثلاثة ألفاظ للدلالة عليه وهي: الصُّدْفَةُ، الِاتِّفَاقُ، الْبَخْتُ. وقد يفرق بينها فيُقال: الِاتِّفَاقُ بالنسبة إلى الأمور غير الإنسانية، ويُقال: الْبَخْتُ فيما يتصل بالأمور الإنسانية، وتُقال: الصُّدْفَةُ بالنسبة إلى كلا النوعين(١).

ومما سبق يتضح أن المُصادفة تعني عند المفكرين وجود الشيء بدون علة، أو هي اتفاق مجهول العلة بدون نية أو تخطيط مُسبق(٢)، أما لفظ (الفرضية) فيُطلق على القضية التي يُسلَّم بها العالم في أول البحث ليتخذها اصلًا يستخرج منه جملة من القضايا(٣).

المطلب الثاني

أشهر القائلين بالمصادفة قديماً وحديثاً

عند التتبع التاريخي لأبرز القائلين بالمصادفة، نجد هذا الاتجاه بدا واضحًا عند فلاسفة اليونان أمثال ديموقريطس، حيث تُظهِر فلسفته دورًا بارزًا للمصادفة في تكوين الكون والحياة، حيث اعتقد أن الحياة والكون بأكمله قد نشأ نتيجة للصدفة البحتة، دون الحاجة إلى علة مؤثرة محددة(٤). وإليه يُنسب المذهب الذَّري الذي يوضح أن الكون يتكون من ذرات أزلية متجانسة تتحرك في فراغ بشكل عشوائي، وأن هذه الحركة هي ضرورة عمياء وليست نتيجة لسبب غائي أو تخطيط مسبق، وأن اختلاف صفات الأشياء في الكون ناتج عن اختلاف تلاقي تلك الذرات واندماجها(٥). وجاء من بعده الفيلسوف اليوناني أبيقور الذي تعد فلسفته امتدادًا لفلسفة ديموقريطس في القول بالصدفة لكن بطريقة مخالفة بعض الشيء حتى تصطبغ بفلسفته الأخلاقية، فهو يرى أن كل شيء في الكون يتكون من ذرات وفراغ، وأنه لا شيء يُخلق من العدم أو يفنى إلى العدم، بل هو موجود دائمًا وأبدًا. واعتقد أن الذرات في حركتها العشوائية هي

(١) "موسوعة الفلسفة"، عبد الرحمن بدوي، ص ١٩٥.

(٢) " المعجم الوسيط"، إبراهيم مصطفى وآخرون (١/ ٤٢).

(٣) "المعجم الفلسفي"، صليبا (٢/ ١٤٤).

(٤) " نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام"، علي سامي النشار، ص ١٦١–١٦٢.

(٥) " قصة الإيمان بين العلم والفلسفة والقران"، نديم الجسر، ص٣٥.

المسؤولة عن تكوين العالم والظواهر المادية من خلال تصادماتها واندماجها، لذا هذا الفهم للطبيعة يرفض تدخل أي قوة إلهية في إيجاد الكون[١] .

وقد وجد صدى للقول بالصدفة في الاتجاه الفلسفي والعلمي الحديث، فالفكر الإلحادي المعاصر يتبنى عدة مفاهيم أهمها أن الكون نشأ تلقائيًا نتيجة أحداث عشوائية دون الحاجة إلى صانع، وأن الحياة ظهرت ذاتيًا من المادة عن طريق قوانين الطبيعة[٢]، ومن أبرز العلماء المعاصرين الذين دافعوا عن فرضية الصدفة في إحداث الكون الفيلسوف تشارلز بيرس (١٨٣٩م-١٩١٤م)، حيث كان أحد المفكرين البارزين الذين ناقشوا دور الصدفة في نشأة الكون وتطوره، واعتبر الصدفة واحدة من المبادئ الأساسية التي تساعد في تفسير الظواهر الكونية، إلى جانب مبدأ الاستمرارية الذي يشير إلى أن العمليات الطبيعية مترابطة بلا انقطاع، ومبدأ التطور الذي يؤكد على نمو الأفكار والظواهر عبر الزمن[٣] . كما أكد كورنو (١٨٠١م-١٨٧٧م) وجود الصدفة على نحو ما قال به أرسطو فقال: هناك نوعان من السلاسل تعبر عن النظام وسلاسل مستقلة عن بعضها البعض هي الصدفة. ويظهر الاعتقاد بالمصادفة في عبارات نيتشه الفيلسوف والأديب الألماني (١٨٤٤م-١٩٠٠م) حيث يقول: "فوق كل الأشياء تقوم سماء الصدفة"[٤]. وعزز الفيلسوف برتراند راسل الانجليزي (١٨٧٢م-١٩٧٠م) مبدأ الصدفة في فلسفته ومن أقواله: " أن الكون الذي نشاهده الآن إنما وجد بمحض الصدفة "[٥].

والقول بالصدفة هو ما يقوم عليه المذهب الطبيعي أحد المذاهب المعاصرة الذي عُرِّف بأنه: موقف فلسفي يعتبر أن كل الموجودات والحادثات نشأت وتنشأ نتيجة لعوامل موجودة في الطبيعة، فهو يرى أن الكون وجود مغلق مكتف بذاته[٦]. ومن أبرز المؤسسين لهذا الاتجاه ديفيد

(١) " التفسير الطبيعي في العصر الهيلينستي"، محمد ضو إبراهيم المريض، ص ١٧٣ .

(٢) "خرافة الإلحاد"، عمرو شريف، ص ٢٦.

(٣) "موسوعة الفلسفة"، عبد الرحمن بدوي، (ملحق الموسوعة / ١٩٧).

(٤) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٥) "فلسفتي كيف تطورت"، برتراند رسل، ص ٢٦.

(٦) "خرافة الإلحاد"، عمرو شريف، ص ٨٦.

هيوم(١٧١١م-١٧٧٦م) ومن أقواله في الصدفة: "فمبدأ العليّة لا يلزم من مبدأ عدم التناقض، ولا تناقض في تصور بداية شيء دون رده إلى علة"[١].

ولقد توسع العلم التجريبي الحديث في تطبيق فرضية الصدفة وتقرير محاورها، حتى أصبحت إحدى دعائم العلم التجريبي الحديث، وأصبح العديد من العلماء يقولون بالصدفة صراحةً أو ضمنًا بإقرارهم للنظريات المبنية عليها لا سيما نظرية داروين، ومن الأمثلة على ذلك قال جورج برنارد شو(١٨٥٦م-١٩٥٠م):" إن القاعدة الداروينية للتطور قد سلمت الكون للصدفة "[٢].

المطلب الثالث

أبرز الأدلة الفلسفية والعلمية التي تستند لها المصادفة

أولاً: نفي السببية

مفهوم السببية من بين أهم المبادئ الفلسفية والمنطقية والعلمية، فالعلوم الطبيعية التجريبية يعتمد جوهرها على علاقة العليَّة، التي تسمح لنا بالاستدلال بالمعلوم الحاضر على العلَّة الماضية، وبالعلَّة الحاضرة على المعلوم المستقبلي، لكن هذه العلاقة رفضها بعض المفكرين في العصر الحديث وعلى رأسهم ديفيد هيوم الذي يحلل المعرفة وفقًا للمبدأ الحسي، أن علاقة العليَّة عديمة القيمة، باعتبار مبررات منها: أن علاقة العليَّة ليس في الذهن شيء غريزي يثبتها، والحواس تطلعنا على تعاقب الظواهر الخارجية، ولا تطلعنا على قوة الشيء الذي يسمى علَّة يحدث به الشيء الذي يدعى معلولًا، فنحن نرى مثلًا كرة البليارد تتحرك فتصطدم بكرةٍ أخرى، فتتحرك هذه، وليس في حركة الأولى ما يظهرني على ضرورة تحرك الثانية[٣]. والحسُّ الباطن يدلنا على أن حركة الأعضاء تحدث عقب أمر الإرادة، ولكن الانسان لا يدرك إدراكًا

(١) "تاريخ الفلسفة الحديثة"، يوسف بطرس كرم، ص ١٥٤.

(٢) " الفكر الأوروبي الحديث"، فرانكلين باومر، ص ٩.

(٣) " الضرورة والاحتمال بين فلسفة العلم "، السيد نفادي ، ص ٥٠.

مباشرًا علاقة ضرورية بين الحركة والأمر، و- كما يقول- لا أدري كيف يمكن لفعل ذهني أن يحرك عضوًا ماديًا؛ بالتالي لا يمكن القول إن رابطة العليَّة مكتسبة بالاستدلال[1].

ثم رد ديفيد هيوم على الفلاسفة الملزمين لمبدأ الضرورة والعليَّة، الذين يدّعون أن الشيء الذي يظهر للوجود يظهر بالضرورة وإلا كان علّة نفسه أو كان معلولًا للعدم، بقوله يجب عليهم إثبات ضرورة العلَّة قبل الاحتجاج ببطلان وجود الشيء دون علَّة. فمبدأ العليَّة لا يلزم من مبدأ عدم التناقض، فليس من التناقض تصور بداية شيء دون رده إلى علَّة، فمن الممكن للذهن أن تفصل بين معنى العلَّة ومعنى ابتداء وجود الشيء. ثمَّ إنَّ معنى العلَّة ومعنى المعلول مختلفان، ويستحيل علينا أن نعلم مبدئيًا معنى المعلول من معنى العلَّة، فمثلا لا يستطيع الإنسان بداية أن يستنتج من ليونة الماء وشفافيته أنه يؤدي إلى خنقه وموته دون تجربة سابقة[2] .

ثم توصل ديفيد هيوم إلى تفسير ما يسمى بالعلَّة بأنها :شيء كثر بعده تكرار شيء آخر حتى إن حضور الأول يجعلنا دائمًا نفكر في الثاني، وعلى ذلك تعود علاقة العليَّة إلى علاقة الاقتران و التشابه ، فهاتان العلاقتان هما الأصليتان، وعلاقة العليَّة مجرد عادة فكرية من نوعها، وما يُدعَى لها من ضرورة، يأتي من أن العادة تُصيِّر الفكر غير قادر على عدم تصُّور الحدث اللاحق وتوقعه إذا ما تصُّور السابق، والنتيجة أنه ليس يوجد حقائق ضرورية ومبادئ بمعنى الكلمة؛ وإن العلوم الطبيعية نسبية ترجع الى تصديقات ذاتية يولدها تكرار التجربة[3].

وبحسم هيوم لهذا الأساس، أسقط الضمان المنطقي للأحكام السببية، وحولها إلى عادة معرفية حسب فلسفته، مما شكّل حجر الأساس لمنهجية المصادفة في الفلسفة والعلوم.

(١) " تاريخ الفلسفة الحديثة"، يوسف بطرس كرم ، ص ١٥٤.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) "تاريخ الفلسفة الغربية"، برتراند راسل (٣/ ٢٦١-٢٦٤) .

ثانيًا: نظرية التطوَّر والطفرات الجينية

استندت العلوم التجريبية منذ بداياتها حسب اتفاق العلماء إلى مبدأ الضرورة، الذي يرى الكون منظومة مترابطة بأسباب ونتائج حتمية قابلة للتنبؤ [١]. إلا أن اكتشاف الذرة غيّر هذا التصور، حيث فتح المجال أمام مفهوم جديد في العلم التجريبي هو مبدأ الصدفة، هذا المبدأ لم يقتصر فقط على الحسابات الفيزيائية، بل امتد إلى مجالات أخرى مثل تفسير نشوء الكائنات الحية وتطورها. وللصُّدفة في مجال علم الأحياء وتفسير نشأة الكائنات، منظوران عِلميَّان:

١. نظرية التطور لدى تشارلز داروين:

الصدفة لدى تشارلز داروين (١٨٠٩م-١٨٨٢م) تأتي في سياق مرتبط بمفهوم التطور، الذي يعني عنده عملية تؤدي إلى حدوث تغييرات في تركيب الكائنات ووظائفها وسلوكها مما يجعلها أكثر تكيفًا مع الظروف البيئية المحيطة بها. هذا التطور يقوم على عدة مبادئ أساسية، أهمها الانتخاب الطبيعي، يقرر داروين أن الانتخاب الطبيعي قوة دائبة التأثير تعمل بشكل مستمر، حيث تقوم بجمع التحولات العرضية للكائن الحي، فيبقي ما هو مفيد وتتخلص من التحولات الضارة التي تعيق بقاءه. فيكون وجود الكائن الحي أكثر انسجامًا وموائمة مع طبيعته ومع احتياجات المجموعة التي ينتمي إليها، ويستتبع عمل الانتخاب الطبيعي ازدياد أعداد الكائنات المتكيفة والمُنتقاة، بينما تتناقص أعداد الكائنات المنحطة التي لم تعد قادرة على البقاء، وصولًا بها إلى الانقراض[٢].

كما يرفض داروين فكرة أن التطور الذي يحدث بالمصادفة كان فجائي أو عبر قفزات هائلة، فهو يؤكد أن التغيرات تحدث بشكل تدريجي وبطيء، أو ما نسميه عبر التراكم، ومع أن التطور يكون بدرجات بطيئة إلا أنه يلاحظ الترقي المنبعث من هذا التحول البطيء[٣]. وعلى

(١) "الصدفة والضرورة بين الماكروفيزياء والميكروفيزياء أو بين داروين وجاك مونو"، عبد الوهاب بن البشير خطاط، ص ٦٧-١٥٣.

(٢)" أصل الأنواع"، تشالرز داروين، ص ٢٠٨.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٨.

الرغمِ من جهود العلماء في ترتيب الحفريات التي حصلوا عليها ترتيبًا زمنيًا لتوضيح مسار التطور، إلا أنها فاقدة لجملة من الحلقات الكبيرة، حاول بعض العلماء تجاوز الحلقات المفرغة عن طريق القفزات الهائلة للتطور، وهذا الأمر رفضه داروين قطعاً، وأفاد أنه عند الحصول على جل الحلقات ستظهر فجوات السلسلة المعبرة عن الصدفة القائمة على التناغم والتدُّرج لا غير(١).

ومحصِّلة القول إن داروين يرى أن مجمل الكائنات الحية خضعت لما سماه التطور، الذي تحكمه عدة من العوامل أهمها الانتخاب الطبيعي وينبني على فرضية الصدفة. كما يلاحظ أن الصدفة عند داروين ليست محضة أو عشوائية، بل هي تمثل جانب من نظام تطوري يقوم على التراكم التدريجي للتغيرات المفيدة. كما تجدر الإشارة إلى أن الصدفة عند داروين كانت في مجال الكائنات العضوية الظاهرة للعيان ولم يتطرق كثيرًا إلى المستوى الخلوي أو الجزيئي في تفسير التطور(٢)، لكن هذا المجال للمصادفة خاضه العلماء من بعده كما سيأتي.

٢.نظرية التطور والطفرات الجينية عند جاك مونو:

لا يبتعد مفهوم التطور عند جاك مونو(١٩١٠م-١٩٧٦م) كثيرًا عما نجده عند داروين، إلا أن مونو ربط عملية التطور بالعالم المجهري سلاسل الحمض النووي (DNA)، حيث ينطلق التغيير من الوحدات الدقيقة ثم يظهر على الخلية الأم أي الحاملة لهذا الحمض، ثم ينتقل إلى أعضاء الكائن الحي وعبر الخلايا الجنسية سواء السائل المنوي أو البويضة إلى الأبناء.

ولفهم المقصود من التطور عند مونو، لابد من معرفة مبدأ التناسخ باعتبار أن التطور ينطلق من تناسخ الحمض النووي (DNA)، فترتكز عملية التناسخ على ضرورة التطابق الدقيق بين قواعد الحمض النووي، لكن السؤال الذي يجب طرحه: هل تتم عملية التناسخ دائمًا بصيغ مضبوطة للحمض النووي؟ تشير أبحاث مونو إلى أن بعض العوامل الخارجية تؤثر على آلية

(١) "الصدفة والضرورة بين الماكروفيزياء والميكروفيزياء أو بين داروين وجاك مونو"، عبد الوهاب بن البشير خطاط، ص٦٧-١٥٣.

(٢) " فضولية العلم"، سيرل أيدون، ص ٢١٨.

التناسخ وتؤدي إلى حدوث طفرات جينية، بشكل عشوائي. من بين هذه العوامل: الحرارة، الأشعة فوق البنفسجية الموجودة في أشعة الشمس، المواد الكيميائية، الغازات السامة المنبعثة من بعض الأماكن على سطح الأرض، هذه العوامل تحدث تغييرات في صيغة الحمض النووي عن طريق الصدفة. وبالرغم أن هذه الطفرة الجينية التي وقعت في الصيغ كانت مصادفة ، لكن يتواصل العمل التناسخي في أشرطة الحمض النووي (DNA) على أساس هذا التغير، فيلتزم المحاكاة ويحافظ على البنية التي وصل إليها، بطريقة ثابتة بدون تغيير وبانسجام تام إلى مليارات النسخ المتطابقة، وهو ما يسمى بمنطق الضرورة[1] ، فالطفرات التي يتعرض لها الحمض النووي (DNA) مع أنها فجائية وقائمة على الصدفة إلا أنه يليها الثبات والمحافظة على بنية الصيغ المرتكز على الضرورة، فتصبح الخلية التي تحمل الحمض النووي (DNA) المتغير حاملة لصفات لم تكن بالخلية الأم وتستمر على ذلك[2]. فالتطور عند مونو ينبثق من أدق المكونات أي سلاسل الحمض النووي (DNA)حتى يظهر ذلك على الكائن الحي وهذا التطور يعتمد على المصادفة ثم يلتزم الضرورة.

ثالثًا: نظرية الاحتمال

الاحتمال هو التعبير العلمي للمصادفة [3] في المجال المنطقي الرياضي، عند النظر في معنى الاحتمال الدقيق نجد وجهات نظر متنوعة بين العلماء، سواء من الفلاسفة أو المتخصصين في الرياضيات والفيزياء. أما عن معنى الاحتمال بشكل عام فهو يشير إلى إمكان وقوع حدث معين، حيث لا يكون تصور طرفي الحدث كافيًا، مما يؤدي إلى تردد الذهن في تحديد النسبة بينهما، وهو ما يُعرف بالإمكان الذهني [4] .

(١) " المصادفة والضرورة محاولة في الفلسفة الطبيعية للبيولوجيا الحديثة " ، جاك مونو، ص ١١٩وما بعدها .

(٢) المرجع السابق، ص ١٠١–١٠٢.

(٣) "فلسفة المصادفة"، محمود أمين العالم ،ص١٩٩.

(٤) "الضرورة والاحتمال بين فلسفة العلم"، السيد نفادي، ص ٩١.

والاحتمال عند الفلاسفة نوعان: الاحتمال الذهني :توقع الذهن لحدوث حدث معين دون يقين تام. والاحتمال الرياضي: وهو احتمال قبلي يعرَّف بأنه النسبة بين عدد المرات التي يمكن أن يقع فيها الحدث مقارنة بالمجموع الكلي للأحداث الممكنة[1]، فإذا رمينا بقطعة نقود في الهواء، فإن احتمال سقوطها على الأرض بحيث تكون الصورة إلى الأعلى يساوي ١/ ٢. ومع تقدم العلوم الطبيعية في القرن العشرين، تغيرت معالم العلم التقليدي المعتمد على القوانين الضرورية الثابتة، وتوسع الاعتماد على الاحتمال الرياضي، حيث إن كثير من الظواهر الحديثة، لا سيما في المجالات المتناهية في الصغر مثل(الجسيمات دون الذريَّة) لا تخضع لقاعدة مطردة؛ بل تتحرك وتتفاعل بشكل عشوائي، وهذا ما حاول أحد علماء الفيزياء أن يقربه في صورة تشبيهية، إذ يقول :" إننا لو شاهدنا الجسيمات النهائية للمادة من خلال ميكروسكوب له قوة تكبير بما يكفي لذلك، وهو أمر بعيد عن التحقيق العملي، فإنها ستبدو متحركة؛ لا كقطرات تجري بسلاسة على قضبانها، بل كحيوانات الكنغر وهي تقفز في أحد الحقول"[2]. ومع هذا السلوك العشوائي لتلك الجسيمات بات التنبؤ به يعتمد على حساب الاحتمالات، حيث يتم تحديد الاحتمال المطلوب بقسمته على إجمالي الاحتمالات الممكنة. وعلى الرغم من أن نسب كثير من الظواهر في حساب الاحتمالات متناهية بالصغر إن كان ثمة عدد يستوعب النسبة، إلا أن الفكر الإلحادي يسد هذه الثغرة فيفسر الأحداث التي تحدث مصادفة بنسب ضئيلة على أساس التدرج عبر التراكم الزمني، مشيرًا إلى أن الظواهر المعقدة قد تنتج تدريجيًا من احتمالات صغيرة، في إطار الزمن الطويل وتكرار العمليات العشوائية.

ومن خلال العرض السابق، يُرى أن فرضية المصادفة التي نادى به الفلاسفة قديمًا ونظَّر لها المعاصرون، ازداد عدد المؤيدين لها مع النظريات التجريبية الحديثة كإجابة عقلانية لأصل الحياة ووجود الكون ومخلوقاته.

(١) المرجع السابق والصفحة نفسها.

(٢) "الفيزياء والفلسفة " ، جيمس جينز ، ص ١٧٤ .

المبحث الثاني

نظرية التصميم الذكي (مفهومها -تاريخها وأبرز روادها - أسسها)

المطلب الأول

تعريف نظرية التصميم الذكي

نظرية التصميم الذكي (Intelligent Design) هي الاعتقاد بأن الأنظمة الفيزيائية والبيولوجية التي نشاهدها ونلاحظها في الكون هي نتيجة تصميم مقصود وهادف من قبل مصمم ذكي، وليست مجرد نتاج الصدفة أو العمليات الطبيعية العشوائية وغير الموجهة[1].

مفهوم النظرية يعتمد على مقدمتين: الأولى: أن هناك تعقيد فائق في الأنظمة الحيوية في الكائنات، وأن هذا التعقيد لا بد أن يكون من مسبب ذكي، كما ذكر وليام بيلي (١٧٤٣م-١٨٠٥م) في وصفه للنظرية: إن التعقيد الفائق في أنظمة الكائنات الحية، وكذلك قدرتها المذهلة على التكيف مع البيئة والموارد، يشير إلى وجود نظام دقيق ومتكامل لا يمكن أن يكون نتاج قوى الطبيعة العمياء[2]، والمقدمة الثانية : أن الذكاء الموجه في الضبط والتصميم لتلك الأنظمة المعقدة لا يمكن اسناده إلى الطبيعة، يتضح ذلك في تعريف الباحثة فيكي: نظرية التصميم الذكي تتمثل في أن أصل وتعقيد الحياة يعكسان عمل ذكاء فائق يتجاوز الطبيعة، وأن الأسباب الطبيعية أو الآليات المادية التي وصفها العلم التطوري لا تكفي لتفسير أصل الحياة[3].

(1)A.H. Dictionary. The American Heritage Dictionary. Fifth Edition: Office Edition. Houghton Mifflin Harcourt Publishing Company, 2012, p. 912.

(2)Paley, William, and Horace Holley. Natural Theology: Or, Evidence of the Existence and Attributes of the Deity, Collected from the Appearances of Nature. Printed for John Morgan by H. Maxwell, 1802, p. 52.

(3)Johnson, Vicki D. "A Contemporary Controversy in American Education: Including Intelligent Design in the Science Curriculum." The Educational Forum, vol. 70, no. 3, 2006, pp. 222–236, p. 222.

فالنظرية في معظم الأوراق والأبحاث العلمية التي أيدتها ترفض أن تكون الأنظمة المعقدة في الكائنات الحية بمسببات غير موجهة كعملية الانتخاب الطبيعي مما جعلها في نقيض للرؤية المادية التي تعتمد على الصدفة والعلميات الطبيعية غير الموجهة، مع تجنب أنصارها الحديث عن هذا المصمم، ونفي الربط بين نظريتهم ونظرية الخَلقِية التي تثبتها الأديان، حيث يعرضون نظريتهم بوصفها قائمة على أدلة علمية تجريبية، وأنها لا تحتكم إلى مرجعية دينية[1].

كما أن هذه النظرية لا ترفض التطور بمفهومه العام، ولكنها تشكك في الفكرة الداروينية بأن كل التغيرات البيولوجية عشوائية تمامًا وغير موجهة على الاطلاق [2].

بناءً على ما سبق، يمكن تعريف التصميم الذكي بأنها نظرية تفسر مظاهر الوجود في العالم على أنها نتاج تصميم موجه من قبل مصمم فائق الذكاء وترفض هذه النظرية تفسير نشوء الحياة بعوامل الصدفة والانتخاب الطبيعي العشوائي، مستندةً في دعواها على الأدلة العقلية والنتائج العلمية التجريبية.

ثالثاً: تاريخ نظرية التصميم الذكي وأبرز روادها

تُعد فكرة التصميم الذكي من الأفكار التي تمتد جذورها إلى ما يقارب ألفي عام، حيث أشارت إليها مقولات بعض الفلاسفة العرب والغرب ضمن سعيهم للإجابة عن التساؤل الفلسفي العميق حول أصل الحياة والإنسان. فكل من أفلاطون، شيشرون، وموسى بن ميمون ذكروا أدلة وحجج تدعم وجود مصمم ذكي بناء على ملاحظتهم للطبيعة[3].

وفي عصر النهضة الأوروبية، تناول علماء مثل يوهانس كيبلر (١٥٧١م -١٦٣٠م)، جون ري (١٦٢٧م- ١٧٠٥ م)، ووليام بيلي فكرة التصميم الذكي مستندين إلى الاكتشافات التجريبية التي

(١) "نظرية التصميم الذكي بين القبول والرفض"، أحمد شوقي إبراهيم، ص ٥٩٢. وانظر: توقيع الخلية، ستيفن ماير، ص١٣.

(٢) "توقيع الخلية"، ستيفن ماير، ص ١٥.

(٣) " التصميم الذكي الفلسفة وتاريخ النظرية"، ستيفن ماير، ص ١٤.

أظهرت علامات للتصميم الدقيق في الطبيعة. كما عبر إسحاق نيوتن (١٦٤٢ م - ١٧٢٧م) عن قناعته بوجود قوة خارجة عن الطبيعة، نظمت خلق الحيوانات وأجزائها بتلك الدقة[١].

انتقلت الفكرة إلى إطار علمي منظم في أواخر السبعينيات، حين جمع تشارلز ثاكستون (مواليد ١٩٣٩م)، ووالتر برادلي (١٩٤٣م-٢٠٢٥م)، وروجر أولسون (مواليد ١٩٥٢م) جهودهم لدراسة أصل المعلومات المشفرة في الحمض النووي(DNA) ، ونشرت مجموعتهم كتاب "لغز نشأة الحياة: إعادة تقييم النظريات الحالية" عام ١٩٨٤م[٢] . فتحدى التفسير الكيميائي التطوري لأصل الحياة، مثبتين فيه أن خصائص المعلومات البيولوجية لا يمكن أن تنشأ عن عمليات عشوائية بحتة. وأثنى العالم دين كينيون (مواليد ١٩٣٩م)-أحد أبرز منظري الكيمياء الحيوية التطورية حينها- على عمق تحليلهم، مؤكدًا أن الأحماض الأمينية والقواعد النيتروجينية لا تستطيع تنظيم نفسها لتكوين جزيئات معقدة كالبروتينات والحمض النووي دون تدخل أو توجيه مسبق[٣].

ثم نشر كتاب (من الباندا والناس: السؤال الأساسي بخصوص الأصل البيولوجي) عام ١٩٨٩م للكاتبين بيرسيفال ديفيس (مواليد ١٩٣٨م) ودين كينيون بإشراف ثاكستون، وهو أول كتاب يستخدم "مصطلح التصميم الذكي" بمنهجية متكررة ويعرض مصطلحات جديدة تصب في نسق النظرية المعاصرة، مع الحرص على تقديم الحجج العلمية دون الاستناد إلى نصوص دينية أو التصريح بذكر الإله[٤] .

وفي منتصف التسعينيات، أضاف عالم الكيمياء الحيوية -بجامعة لهاي -مايكل بيهي (مواليد ١٩٥٢م)، حُجَجًا مفصّلة تحت مصطلح (الأنظمة المعقدة غير قابلة للاختزال) في كتابه (صندوق داروين الأسود) ١٩٩٦م، مستفيدًا من تقدّم تقنيات النانو في الخلايا، وبالإمكان

(١) المرجع السابق، ص ١٥-١٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠-١١.

(٣) " التصميم الذكي الفلسفة وتاريخ النظرية"، ستيفن ماير، ص ٣٩.

(٤) انظر مقدمة "تصميم الحياة: اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية"، ويليام ديمبسكي وجوناثان ويلز، ص ١٤-١٧.

القول إن فكرة التصميم الذكي أصبح لها مكانًا على الخارطة العلمية والثقافية بعد نشر هذا الكتاب[١] .

تبعه عام ١٩٩٨م، ويليام ديمبسكي (مواليد ١٩٦٠م) - عالم الرياضيات الفيلسوف- في كتابه (استنتاج التصميم)، حيث أسس مؤشرات علمية ثابتة لرصد آثار الذكاء في الطبيعة وتمييزها عن نتائج العمليات غير الموجهة[٢].

ومع حلول عام ٢٠٠٥م، حظيت نظرية التصميم الذكي بتغطية واسعة في الصحف العالمية، مثل :نيويورك تايمز ونيتشر والتايمز والإندبندنت [٣]. كما صدرت كتب محكمة تناولت شرح تفصيلات أكثر عن النظرية مثل كتاب (تصميم الحياة) للكاتبين ويليام ديمبسكي، وجوناثان ويلز (مواليد ١٩٤٢م) اللذين طورا مفهوم (التعقيدات المتخصصة) كدليل إضافي للتصميم الذكي[٤].

وأخيرًا، نُشر كتاب (توقيع الخلية) ٢٠٠٩م للمؤلف ستيفن ماير (مواليد ١٩٥٨م) الذي يعد المرجع الشامل لحجة التصميم المبنية على سلاسل(DNA) ، ساعيًا لحل خيوط اللغز الذي لم يتعرض له داروين كيف نشأت الحياة؟ واستخدم نفس الطريقة التي انتهجها داروين نفسه في طرح نظريته، وهذا يدعم فكرة مايكل بيهي، لكن اعتمد على أساس مختلف من الأدلة، حيث استدل بـ (المعلومات المخزنة أو الرمز الرقمي) في سلاسل (DNA) وكذلك الجزيئات الحيوية[٥].

هذا التتبع التاريخي، يعكس تطوّر فكرة التصميم الذكي من تأملات فلسفية بسيطة إلى نظرية علمية قائمة على مؤشرات كمية ونماذج واضحة، عبر مسار طويل من النقاشات الفلسفية والتجريبية والإعلامية.

---

(١) "توقيع الخلية"، ستيفن ماير، ص ١٥.

(٢) "المرجع السابق"، ص ١٥-١٦.

(٣) "المرجع السابق"، ص٩.

(٤)"تصميم الحياة: اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية"، ويليام ديمبسكي وجوناثان ويلز، ص ٢٠٨ وما بعدها.

(٥) "توقيع الخلية"، ستيفن ماير، ص ١٨.

ثانياً: أسس وأدلة نظرية التصميم الذكي

تعتمد النظرية على براهين لم تطرح في المجال العلمي قبلهم بالمنظور الذي تناولوه، للاستدلال على أن نشأة الكائنات من قبل مصمم ذكي وليست مصادفة، وهذه الأسس تتمثل بما يأتي:

١. **التعقيدات المتخصصة أو المحتوى المعلوماتي الذي لا ينشأ إلا من عامل ذكي** [(١)]. يشير هذا المصطلح إلى الأجزاء التي وجدت بشكل متفرد بحيث تكون متخصصة لتنفيذ مهمة معينة بشكل معقد، وقد وضحه الفيلسوف الرياضي وليام ديمبسكي بالمثال التالي: حرف "أ" يعد من الحروف الأبجدية متخصص بدون تعقيد، لكنه وحده لا يقدم فائدة دون ترتيب. وبالمثل، جملة طويلة مكونة من حروف عشوائية معقدة، لكنها تفتقر إلى التخصيص، وقصيدة لشكسبير معقدة ومتخصصة في آن واحد، فالتعقيد المتخصص في قصيدة شكسبير يشير إلى وجود فاعل واعٍ قام بترتيب الأحرف بطريقة دقيقة ومقصودة، بحيث تحقق وظيفة إيصال المعنى. فاللغة ليست مجرد صف عشوائي للأحرف، بل تتطلب ترتيبًا للحروف على نحو خاص لتشكل كلمات مترابطة وفق قواعد محددة، ومن خلال ذلك يمكن أن تكون ناقلة للأفكار والمعاني، بدون هذا الترتيب المقصود، تصبح اللغة مجرد مجموعة من الرموز غير قابلة للفهم أو الاستفادة. في ضوء هذا المعنى يتضح الفرق بين التخصيص البسيط الذي قد يحصل صدفة، وبين التعقيد المتخصص الذي يتطلب ترتيبًا دقيقًا مسبقًا، ويشير إلى وجود فاعل مبدع[(٢)]. فيرى وليام ديمبسكي أنه يمكن وصف خصائص الكائنات الحية بما يشابه النهج الموضّح أعلاه، لا سيما إذا تأملنا

(١) التصميم الذكي الفلسفة وتاريخ النظرية"، ستيفن ماير، ص٦٧.

(٢) " التصميم الذكي ومفهوم التعقيد المحدد" ، ويليام ديمبسكي ،ص ٤٧. وانظر : " التصميم الذكي الفلسفة وتاريخ النظرية"، ستيفن ماير، ص ٨٨.

نماذج التتابع في الجزيئات البيولوجية الوظيفية كالحمض النووي(DNA) وغيره كثير من التعقيدات الحيوية التي لا يمكن أن تكون عشوائية[١].

٢. **التعقيدات غير القابلة للاختزال:** من المفاهيم التي ارتكز عليها أنصار النظرية التصميم الذكي لبيان مظاهر التصميم الذكي في الكون الأنظمة المعقدة غير القابلة للاختزال أو التبسيط في الكائنات الحية، عرف هذا الأساس مايكل بيهي بقوله أنه: نظام واحد مكون من أجزاء متعددة مترابطة بشكل جيد، متفاعلة فيما بينها، تساهم في الوظيفة الأساسية، أينما أزيل جزء ما من الأجزاء فالنظام سوف يتوقف عن العمل" [٢] فالأنظمة البيولوجية في الكون معقدة بشكل معين بحيث لا يمكن تكونها عبر طرق طبيعية عشوائية[٣]. فحتى تعمل الأنظمة البيولوجية المعقدة بشكل صحيح، يجب توفر ثلاثة أمور:

- توافر جميع الأجزاء اللازمة بشكل كامل.
- تواجد هذه الأجزاء جميعها في نفس الوقت.
- أن تتركب وتتآلف هذه الأجزاء بطريقة صحيحة ودقيقة [٤].

ومن أبرز الأمثلة التي ذكرها مايكل بيهي على التعقيدات غير القابلة للاختزال ما أدركه العلماء في القرن التاسع عشر في الأجزاء المكونة لبنية العين ووظائفها المتممة لبعضها البعض، فالحدقة تعمل كستارة تنظم مقدار الضوء الداخل بما يكفي للإبصار، والعدسةٌ تركّز الأشعة على الشبكيّة لتكوين صورة واضحة، وعضلات العين تؤمن الحركة السريعة، ولتفادي ضبابية الصورة بسبب اختلاف الألوان والموجات، تُعدِّل العدسة تحدّب سطحها وكثافتَه لتصحيح

(١)" العلم ودليل التصميم في الكون"، مايكل بيهي، ص ٣٨.

(٢) "صندوق داروين الأسود"، مايكل بيهي ، ص٦٠.

(٣) " التصميم الذكي الفلسفة وتاريخ النظرية"، ستيفن ماير، ص ١١٥–١٦.

(٤) " شموع النهار: إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي"، عبد الله بن صالح العجيري ، ص ١٩٨.

الانحراف اللوني، وقد أدهشت هذه الأنظمة الدقيقة المعقدة كلَّ من اطّلع عليها ، وكان معلومًا لدى العلماء أن أي خلل في وظائف هذه الأجزاء ينعكس مباشرةً على جودة الإبصار أو يعطله[١].

وقد اعتبر العالم الرياضي جون لينكس (مواليد ١٩٤٣م) أن وجود أنظمة بيولوجية مستندة على آليات التعقيد غير القابل للاختزال أو التبسيط أكبر تحد لنظرية التطور، واعتمد في ذلك على قول داروين في كتابه أصل الأنواع: "إذا أمكننا توضيح أي تعقيد موجود، بحيث أنه لا يمكن أن يكون قد تشكل من خلال التعديلات، الطفيفة، الناجحة، والكثيرة، فهذا من شأنه أن يحطم نظريتي!"[٢].

٣. **مفهوم الضبط الدقيق للكون (الأنثروبي)**: أوضح علماء الفيزياء أن الكون مصمم بدقة فائقة تضمن استمرار الحياة البشرية، فهو يعتمد على توازن دقيق للعوامل الفيزيائية، فالقوانين والشروط الأولية للكون في ثبات محكم لإمكانية استدامة الحياة، بحيث أن أي تغيير طفيف في معدلات توسع الكون، أو قوة الجاذبية، أو القوة الكهرومغناطيسية، قد تجعل الحياة مستحيلة[٣]. يُطلق العلماء على هذا التوازن اسم "الشروط الإنسانية" لأنها تجعل الحياة واستمراريتها ممكنة للإنسان، كما يسمون التماسك الدقيق لتلك لعوامل بـ"الكون المعد بعناية" أو "العناية الدقيقة للكون". وبالنظر إلى استحالة حدوث هذه القيم الدقيقة عن طريق الصدفة، استنتج العديد من علماء الفيزياء أن هذا الضبط الدقيق يوحي إلى وجود تصميم متعمد خلفه مصمم ذكي قديم[٤].

❁❁❁

(١) "صندوق داروين الأسود"، مايكل بيهي ، ص٣٣.

(٢) " أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين" جون لينكس ، ص ٣٥٣.

(٣) "توقيع الخلية"، ستيفن ماير، ص٦٥٣.

(٤) " العلم ودليل التصميم في الكون"، مايكل بيهي، ص ٦٥–٦٦.

المبحث الثالث

مقارنة منهجية بين فرضية المصادفة ونظرية التصميم الذكي في (المفهوم والنشأة والأدلة والأثر الأخلاقي)

بعد العرض السابق لفرضية المصادفة ونظرية التصميم الذكي في تفسير نشأة الكون، ولأن النظريتين تمثلان فكرتين متضادة بحيث لا يمكن الجمع بينهما في الاعتقاد، نقدم مقارنة توازن بين النظريتين بحيث يظهر للقارئ أيهما أقوى جانبًا في الإجابة على السؤال المحوري: ما أصل نشأة الحياة؟

المطلب الأول

الفرق بين المنطلق الفكري والأساس المعرفي

المنطلق الفكري للمصادفة يعتمد على الفلسفة المادية والطبيعية، التي ترى أن الأحداث والظواهر الكونية يمكن تفسيرها من خلال العشوائية والصدفة، دون الحاجة إلى تدخل خارجي أو غاية محددة. يستند هذا الفكر إلى أن الطبيعة وحدها قادرة على تفسير النظام الكوني من خلال تفاعل معقد لسلاسل من الأسباب العشوائية، والتي لا يدرك العقل البشري جميع أبعادها بسبب تشابكها وتعقيدها، كما يرفض هذا المبدأ وجود أي سبب فاعل أو غائي للأحداث، فلا مكان لأي تفسير خارج نطاق العلم الطبيعي.

وفي المقابل فإن المنطلق الفكري لنظرية التصميم الذكي يقوم على رفض أن العشوائية يمكن أن تنتج الأنظمة المعقدة والمترابطة التي نلاحظها في الكائنات الحية والكون. ترتكز النظرية على وجود "مصمم ذكي" كعامل أساسي وراء تعقيد الأنظمة الحيوية والتوازن الكوني، فهي تؤكد أن هناك ذكاء موجهًا وراء مظاهر الوجود، إلا أن هذا المنطلق لا يتبنى مرجعية دينية صريحة، بل يعتمد على الأدلة العلمية والتجريبية لتأكيد وجود التصميم.

فنقطة الخلاف الجوهرية بين النظريتين تكمن في موقفهما من الغائية في الطبيعية، فالمصادفة تتبنى تصور لا غائي، يرى أن الأحداث الطبيعية تنشأ دون غاية أو هدف محدد مسبقًا، بينما فلسفة التصميم الذكي تستند على فكرة غاية محددة مسبقًا، تظهر أمارات تدل على تصميم هادف.

المطلب الثاني

مقارنة النشأة والجذور التاريخية

تمتد جذور فكرة القول بالصدفة في تفسير نشأة الكون إلى عصر فلاسفة اليونان مثل ديموقريطس وأبيقور، حيث اعتقد هؤلاء أن الكون نشأ نتيجة تلاقي الذرات بشكل عشوائي، دون أي تخطيط مسبق أو غاية محددة، تطورت تلك الفكرة مع مرور الزمن لاحقًا وأصبحت جزءًا من النظريات العلمية الحديثة، خاصة مع نظرية داروين التي تعتبر المصادفة العشوائية والتغيرات الناتجة من الطفرات الجينية أساسًا لظهور الكائنات الحية. أما نظرية التصميم الذكي فترجع جذورها كذلك إلى ما يقارب ألفي عام، حيث أشار فلاسفة مثل أفلاطون ويوهانس كيبلر(١٥٧١ م - ١٦٣٠م) إلى وجود تصميم دقيق للطبيعة. مع عصر النهضة بدأت النظرية تتطور أكثر مع علماء مثل إسحاق نيوتن، الذي أكد أن الوجود لا يمكن أن ينظم نفسه دون تدخل قوة ذكية. في أواخر القرن العشرين تمت صياغة النظرية بشكلها الحالي على يد علماء مثل: تشارلز ثاكستون ومايكل بيهي.

فكلا الفكرتين، بدأ الحديث عنهما في الفلسفات القديمة، ثمَّ تم تدعيمهما بالأدلة والقرائن العلمية والتنظير لهما مع النهضة العلمية الحديثة.

المطلب الثالث

موازنة بين المنهجية العلمية

تعتمد فرضية المصادفة على المنهجية العلمية التجريبية، فهو يقتصر على التفسيرات الطبيعية القابلة للملاحظة والاختبار، ولا يقبل تنبؤات لا يمكن التحقق منها، كما يرى أن التفسير العلمي يفضل أن يكون اقتصاديًا لا يتطلب افتراضات إضافية، وفي الجانب الآخر يؤكد رواد نظرية التصميم الذكي إتباعها المنهج العلمي التجريبي، لكنها تضيف إليه منهجية الاستدلال على أفضل تفسير الذي يرى أن التصميم الذكي هو التفسير الأكثر منطقية للتعقيد المنظم الملاحظ في الكائنات الحية، فالتفسير العلمي لنظرية التصميم الذكي مفتوحًا للاحتمالات المختلفة وليس مقتصرًا على الأسباب المادية فقط.

المطلب الرابع

موازنة نقدية بين الحجج الأساسية لفرضية المصادفة ونظرية التصميم الذكي

أولاً: نظرة نقدية في حجج فرضية المصادفة

تعتمد فرضية المصادفة على أدلة علمية من أهمها قوانين الاحتمالات، والتفاعلات الطبيعية العشوائية عبر الطفرات الجينية والانتخاب الطبيعي التي تعطي تفسير -حسب رأيهم- لنشأة الكائنات والظواهر المعقدة في الكون، مع التأكيد منهم أن ذلك يحدث عبر تراكم لزمنٍ طويل دون تدخلات خارجية، وبالرغم أن هذه الأدلة مثبتة في المنهج التجريبي ومتسقة مع النظريات العلمية الأخرى حسب رأيهم، إلا أن الأجماع العام بين الباحثين يميل إلى أن الحياة لم تنشأ بمصادفة عشوائية، بل ضمن سلسلة طويلة من العمليات الكيمائية والتحولات الفيزيائية التي تنتظم ضمن قوانين حتمية مما يجعل فرصة حدوثها صدفة ضئيلة جدًا أو مستحيلة [1] ، كما أن التجارب ضمن أدلتهم لا تغطي كامل مراحل الانتقال إلى نظام حي؛ فهي تبدأ من أبسط مراحل النشوء ولا توضح كيفية تكوين جزئيات وظيفية عالية التعقيد مثل البروتينات الكاملة أو الأحماض النووية (DNA) عبر الصدفة وحدها[٢]، ومع حرص القائلين بها على تأييد الفرضية إلا إنه يعتريها العديد من الاعتراضات العلمية والمنطقية الفلسفية، من أهم تلك الاعتراضات:

أولًا: أن المصادفة لا تمثل تفسيرا علميًا، بل هي غياب القدرة على التفسير، فعند عدم المعرفة بالأسباب يوصف الأمر بأنه مصادفة، وأي ظاهرة علمية يجب أن تكون قابلة للتكرار أو التفسير على قوانين معروفة يمكن التنبؤ بحدوث الظاهرة من خلالها، بينما المصادفة لا تملك هذه الميزة بالتالي لا يمكن وصفها بأنها علمية، كما أن القول بالمصادفة ينقض نفسه بنفسه، فالحقائق التي يستدلون بها على تراكب الصدف العديدة لتحقيق بنية الكون على هذه الصورة

(1) Hazen, Robert M. "Chance, Necessity and the Origins of Life: A Physical Sciences Perspective," Philosophical Transactions of the Royal Society A: Mathematical, Physical and Engineering Sciences 375/2109 (2017): 20160353.

(٢) "توقيع الخلية"، ستيفن ماير، ص ٥٩٢.

تنفي وجود الصدفة أساسًا. فالاتساق والانتظام للصدف الهائلة على قوانين واحدة ينفي معنى الصدفة[١]. فالصدفة في خطابات الملحدين لا تعني تحديد أي نمط من الوجود، ولا حتى للوجود نفسه، أكثر من كونها تعني عدم الوجود؛ ولا يمكن فهمها أو تعريفها [٢].

ثانيًا: احتمال حدوث الكون بالصدفة، مع كل تعقيده، ضئيل جدًا وفقًا لقوانين الاحتمالات، فنسبة نجاح المصادفة في الواقع ضئيلة جدًا ، "فحض المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص بنسب معكوسة مع عدد الإمكانيات المتكافئة المتزاحمة"[٣] ، وتوضيح ذلك كلما قل عدد الأشياء المتزاحمة ازداد حظ المصادفة من النجاح، وكلما كثر عددها قل حظ المصادفة، فإن كان التزاحم بين شيئين اثنين متكافئين فإن حظ المصادفة يكون بنسبة (واحد ضد اثنين)، وإذا كان التزاحم بين عشرة يكون حظ المصادفة بنسبة (واحد ضد عشرة)، فكلما تضخمت النسبة العددية للمتزاحمين تضخمًا هائلًا أصبحت المصادفة في حكم المستحيل[٤]، يقول العالم الأمريكي كريسي موريسون (١٨٦٤م-١٩٥١م): لو تناولت عشر قطع، وكتبت عليها الأعداد من واحد إلى عشرة ثم رميتها في جيبك وخلطتها خلطًا جيدًا ثم حاولت أن تخرج منها الواحد إلى العاشر بالترتيب العددي بحيث تلقي كل قطعة في جيبك بعد تناولها مرة أُخرى. فإمكان أن تتناول القطعة رقم (١) في المحاولة الأُولى هو واحد على عشرة، وإمكان أن تتناول القطعة رقم (١) و(٢) متتابعين هو بنسبة واحد على مائة، وفرصة سحب القطع التي عليها أرقام (١ و٢ و٣) متتالية هي بنسبة واحد على ألف، وفرصة سحب (١ و٢ و٣ و٤) متوالية هي بنسبة واحد على عشرة آلاف، وهكذا حتى تصبح فرصة سحب القطع بترتيبها الأوّل من ١ إلى ١٠ هي بنسبة واحد من عشرة بلايين محاولة[٥].

(١) "خلق الكون بين العلم والإيمان"، محمد باسل الطائي، ص ١٢٦.

(2)Wells, Julian. "The Dogs That Didn't Bark: Marx and Engels and Statistical Fatalism." MPRA Paper, 2006, p. 4.

(٣) " قصة الإيمان بين العلم والفلسفة والقران"، نديم الجسر، ص ٢٩٣.

(٤) "الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية"، صالح إسحاق صالح (٢/ ٥٩)

(٥) "العلم يدعو للإيمان"، كريسي موريسون، ص ١٩٥.

كما أن الصدفة تفتقر إلى الزمن والذي يفتقر إلى الشيء يأتي بعده، وبالتالي الصدفة جاءت تالية للزمن، لأن الزمن شرط وجودها، وكوننا ظهر من اللازمن أي من اللاصدفة، وتفتقر إلى المادة التي ستطبق نفسها عليها، فالمادة سابقة على الصدفة، لأن شرط وجود الشيء سابق عليه، فكيف يفسر ظهور مادة الكون بالصدفة، مع أن الصدفة لن تظهر إلا بعد ظهور مادة الكون، والكون كله ظهر من ألا مكان أصلًا[1] .

ثالثًا: إن الإقرار بالصدفة يعني رفض مبدأ السببية أو العليَّة التي تعد إحدى مسلَّمات الفكر الأساسية، "فإنه لا يحدث شيء بلا علة، أو على الأقل بلا سبب محدد، أي بلا شيء ما يمكنه الإفادة في تعليل قبلي لسبب وجود هذا الشيء بدلًا من عدمه، ولماذا هو على هذا النحو وليس على نحو آخر مختلف"[2]. وعرَّف الفلاسفة السبب بالعديد من التعاريف وذهب الأغلب منهم إلى أن السبب هو: " ما يحتاج إليه الشيء في حقيقته، أو وجوده " [3] . مبدأ السببية يؤكد أن وجود العالم ليس عبثيًا، بل له سبب واضح وهو الخالق سبحانه، ومن المستحيل أن يُوجد العالم بنفسه دون سبب، تعتبر السببية مبدأ عقليًا ضروريًا لا يحتاج إلى استدلال؛ لأن المبادئ العقلية الضرورية بها يكون الاستدلال؛ كما لا يمكن تصور ما يعارض هذا المبدأ، لأن عقل الانسان بفطرته لا يقبل الشك في المبادئ العقلية[4]، فالإنسان بطبيعته يبحث عن تفسيرات للأحداث الهامة في حياته مثل الموت والمرض، وكذلك الظواهر التي تحدث من حوله كهبوب الرياح وسقوط المطر ولا يشعر بالارتياح حتى يجد تفسيرًا لها ويكون للعالم من حوله معنى، كما أن علماء النفس يعتبرون أن الإيمان بالسببية هو جزء أساسي من نمو الأطفال وتشكيل سلوكهم، فهذه الرغبة في تفسير الأحداث، والتي تُعرف بالغريزة التفسيرية (Explanatory Drive)، تقع في محور البنية النفسية للأطفال، كغريزة الحاجة إلى الغذاء. فيظهر شغفهم لفهم ما يحدث حولهم

(١) " ثلاث رسائل في الإلحاد و العلم والايمان" ، عبد الله بن سعيد الشهري ، ص ١٩٤.

(٢) "موسوعة لالاند الفلسفية"، اندريه لالاند، (١/ ١٥٤).

(٣) "المباحث المشرقية"، فخر الدين الرازي، (١/ ٤٥٧).

(٤) " المعرفة في الاسلام مصادرها ومجالاتها"، عبد الله القرني، ص ٣٧٨.

منذ السنوات الأولى في حياتهم، فالطفل الصغير يرى أنه إذا تعرض لتأثير مؤثر ما؛ يطلب ذلك المؤثر ويبحث عنه، فيلتفت الطفل ليبحث عمن ضربه خلسة، لكونه مما ارتكز في فطرته، وفي عملياته العقلية الأولى أن لكل فعل فاعلًا، بل إن الطفل إن لم يجد ذلك المؤثر يرتبك، بل يخاف ويهلع، وإذا كان الأطفال يدركون غريزيًا أن الأشياء تحكمها علاقات سببية فبالتعلم يدركون أيضًا أن الأشياء تسلك لتحقيق غايات وأهداف معينة [1].

رابعًا: يُعتبر النظام الدقيق والمتقن للكون من أوضح الأدلة على نقض القول بالمصادفة وأكثرها فهمًا للجميع؛ وهو يعتمد على الحجة المنطقية القائلة: إن وجود تنظيم وترابط متقن في العالم يشير إلى خالق حكيم، ومفهوم هذا النظام يظهر للذهن عبر توافق الأجزاء المختلفة، سواء أكانت مكونات لشكل ما، أو أفرادًا لنفس النوع، أو بين أنواع متنوعة من الكائنات، هذا الترابط والانسجام بين الأجزاء، سواء في توازنها أو تكاملها، يسير بتناسق، وكل جزء منه يؤدي وظيفة دقيقة خاصة به، ويهدف إلى تحقيق غاية محددة. فالوجود الذي نعيشه، بتناغمه البديع وعدم حدوث أي تصادم أو فوضى بين مكوناته، يدل على أنه من صنع صانع حكيم ولا يمكن وقوعه بشكل عشوائي، وقد تنوعت الأدلة والشواهد على صحة هذه المقدمة وهي منقسمة إلى نوعين[2]:

أما النوع الأول: الدليل الحسي المباشر، فكل عاقل يشاهد المخلوقات من حوله في هذا الوجود على دقة في التصميم وتسير وفق نظام محكم لغاية محددة. وقد كان هذا النوع من الاستدلال الحسي المباشر منتشراً عند الأقدمين قبل ظهور العلم التجريبي ، قال الخطابي : "إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدوة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيئة للمطاعم والملابس والمشارب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب، مستعملة في المرافق، والإنسان كالمُمَلّك البيت

(١) " خرافة الإلحاد"، عمرو شريف، ص ٢٥٧.

(٢) " ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث"، سلطان العميري ،(٢/ ١٨٥).

المخول ما فيه، وفي هذا كله دلالة واضحة على أن العالم مخلوق، بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعًا حكيمًا، تام القدرة بالغ الحكمة" [1].

النوع الثاني: الدليل العلمي التجريبي، فقد كشف العلماء مع التطورات العلمية مستويات متنوعة من النظام المحكم في الكون، وأشكالًا مبهرة من الدقة والتصميم المذهل التي تعجز العقول عن استيعابها بالكامل. وهو ما تجسده أقوال مفكري نظرية التصميم الذكي السابقة، يقول عالم الوراثة جون وليام كلوتز(١٩١٨م-١٩٩٦م):" فالضبط الدقيق والتصميم الذكي يؤكد على أن العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة، فهو مكتظ بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر، ولا يمكن اسنادها إلى قدر أعمى "[2]، وكون هذا الدليل مركب من الدلالات الحسية المباشرة والمبادئ العقلية الواضحة، يجعله دليل يقيني متوافقاً مع العقل البشري والفطرة الطبيعية. فهو دليل بسيط في مقدماته وقريبًا في نتائجه، سهل على العقلاء فهمه واستيعابه في تعاملاتهم اليومية[3].علاوة على ذلك نجد أن النصوص الشرعية اعتنت به، وجاءت عبارات كثيرة في القرآن الكريم تشير إلى مقدماته وشواهده، من ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠] فهذا الكون الذي أمامنا ونشاهده على هذا النظام البديع الذي لا يمكن أن يضطرب ولا يتصادم ولا يسقط بعضه بعضًا، بل هو في غاية ما يكون من النظام فهل يعقل أن هذا الكون العظيم بهذا النظام البديع يكون خالقًا لنفسه؟ وقوله تعالى:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الأنبياء: ٢٢]. فالنظام وعدم الاضطراب في هذا الكون دليل على أن له خالق واحد حكيم. وبالنظر إلى الصدفة نجد أنها أمر لا يتفق مع هذا الإحكام والاطراد؛ إذ الصدفة فعل دون قصد ولا غاية وكل ما في الوجود منظم ويسير من أجل غاية واضحة.

(١) " بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية"، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (١ / ٥٠٦).

(٢) " الله يتجلى في عصر العلم "، جون كلوفرمونسيما، ص ٥٢.

(٣) " ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث" ، سلطان العميري (٢/ ١٨٢).

خامسًا: من البراهين المعارضة للاعتقاد بالمصادفة برهان العناية، وهو برهان منطقي مبني على أصلين: الأول: هو أن جميع الموجودات في هذا العالم تتوافق مع وجود الإنسان. أما الأصل الثاني: أن هذه الموافقة هـي ضرورة صادرة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد، فهذا التوافق لا يمكن أن يكون عشوائيًا، أما كونها موافقة لوجود الانسان فيحصل اليقين بذلك باعتبار النظر إلى كيفية موافقة تعاقب الليل والنهار، والشمس والقمر، والفصول الأربعة لاحتياجات الإنسان. وكذلك النظر إلى المكان الذي يعيش فيه الإنسان وهو الأرض حيث تتجلى موافقة النباتات والحيوانات والجمادات له، والعناصر الطبيعية كالأمطار والأنهار والبحار. كما يبرز التوافق والعناية في تكوين جسم الإنسان وكذلك أعضاء الكائنات الحية كونها موافقة لحياته ووجوده، وبشكل عام ترى جميع الموجودات تعمل لصالح الإنسان ومنسجمة مع وجوده مما يدل على أنها من صنع صانعٍ ومسددةٍ لغاية واحدة ولا يمكن حدوثها بالمصادفة [1].وهذا النوع من الاستدلال كثر وروده في القرآن الكريم في أكثر من موضع من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النبأ: ٦-١٦]. فيها التنبيه على ملائمة المخلوقات في الكون لوجود الانسان، فنبه على أمر معروف للمتأمل وهو أن الأرض خلقت بصفة يناسب لنا العيش فيها والمقام عليها. وأنه لو كانت متحركة أو بشكل مختلف عن شكلها أو بموضع غير الموضع الذي هي فيه لما أمكن للإنسان أن يوجد عليها، وذلك كله محصور في معنى هذه الآية ذلك أن المهاد يجمع الموافقة في السكون والشكل والوضع ويزيد على ذلك معنى اللين والوثارة فما أعجب هذا الإعجاز وأفضل هذه الاستعارة[2].

ثانياً: نظرية التصميم الذكي نقاط القوة وأهم الاعتراضات والردود

قدمت نظرية التصميم الذكي أدلة علمية قوية في مجالها بنيت على أسس لوحظت في أنظمة الحياة للكائنات، تمثلت في التعقيدات المتخصصة التي لا تنشأ إلا من عامل ذكي، والتعقيدات

(١) " الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة"، أحمد ابن رشد ، ص ١٦٣. وانظر : " قصة الإيمان بين العلم والفلسفة والقران"، نديم الجسر، ص ١٠٢.

(٢) "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة"، ابن رشد، ص ١٦٣.

غير القابلة للاختزال، كذلك مفهوم الضبط الدقيق للكون، هذه الأدلة تثبت استحالة نشأة الكون مصادفة، وأن نشأة الحياة والكائنات ناتجة من مصمم ذكي، وهي بذلك تعطي تفسيرًا مقبولًا للتعقيد المنظم في الكون، إضافة إلى توافقها مع الحدس البشري الذي يميل إلى رؤية التصميم الذكي في الأنماط المنظمة، ومع الجدل الواسع الذي أثارته النظرية نجد أن نقض خصومها لها غالبًا كان باعتراضات فلسفية جدلية عوضًا من تقديم انتقادات علمية خالصة، ومن أهم الاعتراضات التي طرحت ضدها:

أولًا: تستند نظرية التصميم الذكي على حُجَّة سلبية بنيت على الجهل، ولم تعتمد على العلم الإيجابي.

ثانيًا: أن نظرية التصميم الذكي تفتقر إلى الأسس التي تجعلها نظرية علمية بالمعنى الدقيق، فهي لا تتوافق مع ضوابط المنهج العلمي.

ثالثًا: أن نظرية التصميم الذكي توظف في حججها التشبيه الذي يؤدي إلى مغالطات واستنتاجات خاطئة.

رابعًا: أنها نظرية ذات أصول دينية مستمدة من الإيمان بوجود الخالق (النظرية الخَلقوية) لذلك يطالبون بحظر تدريسها.

بالنسبة للاعتراض الأول فإن من أقوى الحجج لخصوم التصميم الذكي أن حُجَّة التصميم مبنية على الجهل، حيث تعتمد على غموض مظاهر التعقيد في الكون وعدم القدرة على تفسير مادي لها. وبحسب هذا الانتقاد، فإن أي شخص يستدل بوجود المعلومات المتخصصة أو التعقيد غير قابل للاختزال على نظرية التصميم، هو يبني حجته على غياب تفسير مادي كافٍ لهذه الظواهر فهو يتصور أن هذه حجة لديه على مسبب ذكي. وبناء على هذه الرؤية فإن نظرية التصميم الذكي لا تقدم علمًا أو تفسيرًا، إنما هي مجرد تعبير عن الجهل ومحدودية العلم، لكن رُدَّ على هذا أن ذلك يتفق على من اعتمد على أدلة نقض النظرية المقابلة دون حيازة أدلة علمية تثبت حجته، وهذا لا ينطبق على نظرية التصميم الذكي، حيث لديهم أدلة علمية يستندون عليها لإثبات نظريتهم ، فالقائلون بنظرية التصميم الذكي يستدلون على التصميم بالعلم أن القدرة

على إنتاج أنظمة غنية بالمعلومات، والتي تتصف بالتعقيد غير القابل للاختزال لا يكون إلا من كائنات ذكية .فإن لديهم خبرة إيجابية مبنية على معرفتهم بسبب قادر على إنتاج هذه الأنظمة والظواهر؛ هذا السبب هو مصمم ذكي، فدليلهم ليس مجرد أن الآليات الطبيعية عاجزة عن تفسير أصل المعلومات المتخصصة والتعقيد غير القابل للاختزال ؛بالتالي لا تقوم حجتهم على الجهل. وإن كان جزء من أدلتهم يعتمد على ضعف القدرة التفسيرية للفرضيات المنافسة، وهو عجز الطفرات العشوائية والانتخاب الطبيعي بالأخص على المستوى الجزيئي عن تقديم تفسيرات جيدة للحياة(١)، فغياب التفسيرات المقنعة للقول المناظر لقولهم تقدم جزءًا من الأسس التي تبنى عليها حجة التصميم، وبالتالي استدلال العلماء على التصميم ليس لمجرد أن آلية الانتخاب الطبيعي غير قادرة على انتاج الأنظمة المعقدة غير قابلة للاختزال ، لكن لوجود دلالات إيجابية أن خاصية التعقيد غير قابل للاختزال خاصية لا تظهر إلا في الأنظمة التي تنشأ بالتصميم الذكي وهو أفضل تفسير لذلك(٢).

أما عن الاعتراض الثاني: فلا زال الكثيرون يرفضون أن تكون فرضية التصميم في عين الاعتبار لكونها غير مؤهلة كفرضية علمية، تمسكا منهم بالمنهج الطبيعي أو المادية المنهجية فهو لديهم فوق كل الأدلة. ومنهجية المذهب الطبيعي تنص على أن أي فرضية حتى تعتبر علمية لا بد أن توظف آليات وعناصر مادية فقط في تفسيرها، وبناء على هذا التعريف يدَّعي النُّقَّاد أن نظرية التصميم الذكي غير علمية، حيث لا ينطبق عليها ضوابط هذا المنهج. ولكن لو سلمنا أن هذا المنهج صحيحًا، فإنه لا يقتضي أن فرضية غير علمية حسب ضوابط المنهج الطبيعي أو غيبية لا تمثل أفضل تفسير أو أكفأ سببيًّا لتفسير ظاهرة ما من الفرضيات المادية. فمنظرو التصميم يحاجَّون بأن نظرية التصميم سواء اعتبرت علمية أم لا فإنها تعد أفضل من التفسيرات المادية البديلة لمعرفة أصل المعلومات الحيوية والأنظمة المعقدة غير القابلة للاختزال والضبط

(١) "صندوق داروين الأسود"، مايكل بيهي ، ص ٢٣٣.

(٢) التصميم الذكي الفلسفة وتاريخ النظرية"، ستيفن ماير، ص ١٠٠. وانظر :" صندوق داروين الأسود"، مايكل بيهي ، ص ١٩٩.

الدقيق للظواهر الفيزيائية، فتصنيفها على أنها حُجَّة غير علمية لا يعد نقضًا لها. ومن وجه آخر لا يمكن تطبيق منهجية المذهب الطبيعي كمعيار لكل العلوم، حيث لتطبيقها تأثير سلبي في بعض التخصصات لاسيما العلوم التاريخية(١).

أما الاعتراض الثالث: قولهم: أن نظرية التصميم الذكي توظف في حججها التشبيه الذي يؤدي إلى مغالطات واستنتاجات خاطئة. أُجيب على هذا القول: بأن حُجَّة التصميم المستندة على المعلومات الحيوية لا تعتمد على المقارنة أو قياس مدى التشابه، فالحجَّة لا تقوم على المقارنة بين الكائنات الحية وبرامج الحاسوب أو اللغة البشرية، بل تستند إلى خصائص مشتركة موجودة في المعلومات التي تتميز بالتعقيد والتخصص التي لاحظوها في جميع أنحاء الكائنات الحية والأنظمة المصممة الأخرى، بالإضافة إلى اللغات والآثار الإنسانية. لذلك، فإن الاستدلال على التصميم من المعلومات الحيوية لا يُعَدّ حجة قائمة على قياس درجة التشابه بين أمرين، بل تعتمد على مبدأ الاستدلال بأفضل تفسير. فهي تعتمد على تقييم كفاءة الأسباب المحتملة لذات الأثر. والذكاء هو تفسير كاف سببيًا لنشوء هذا الأثر، بما أن التفسيرات الطبيعية قد أثبتت أنها غير قادرة على تفسير نشوء مثل هذه المعلومات(٢).

أما الاعتراض الرابع: فهناك تباين واضح بين نظرية التصميم الذكي ونظرية الخلق من حيث المنهج والمضمون. فنظرية الخلق تستند بشكل مباشرة على نصوص الكتاب المقدس ومبادئٍ دينية ثابتة، في حين أن نظرية التصميم الذكي لا تقوم على أساس ديني؛ بل تعتمد على أسس علمية تجريبية بحتة، تهدف إلى تفسير بعض الأنماط والظواهر التي نلاحظها في الطبيعية والتي تشير باستمرار إلى وجود مسبب اعتمادًا على مبدأ السببية والقوانين الفيزيائية والكيميائية، وبذلك تؤسّس نظرية التصميم استنباطاتها واستدلالاتها على قواعد علمية مستقلة دون الاستناد إلى أي مرجع ديني(٣).

(١) " توقيع الخلية"، ستيفن ماير، ص ٦٠٩.

(٢) " التصميم الذكي الفلسفة وتاريخ النظرية"، ستيفن ماير، ص ١٠٤–١٠٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠–١٢.

المطلب الخامس

موازنة بين الأثر الأخلاقي على الفرد

الاعتقاد بالصدفة يؤدي إلى شعور الفرد بفقدان المعنى والهدف في الحياة، فلا غاية ظاهرة له من الوجود، حيث يعتقد أنه نتيجة أحداث عشوائية، فلا يدري الإنسان عن الهدف أو القيمة من وجوده، مما يستدعى الإحساس بالفراغ الوجودي أو العبثية[1] .

كما أن المسؤولية الأخلاقية والقيم المطلقة تقل لدى الفرد عند اعتقاده بالمصادفة؛ حيث يرى أن لا وجود لقوانين أخلاقية مطلقة وبالتالي عدم الالتزام بقيم ثابتة للسلوك، فالأخلاق لديه مجرد اتفاقات اجتماعية ممكنة التغيير[2]، وهذا يسوغ تبرير أي سلوك بناء على المصلحة الشخصية أو الظروف المحيطة بالشخص[3]، إضافة إلى ذلك، فإن غياب القيم الأخلاقية العليا قد يدفع الأفراد إلى التركيز بشكل أكبر على تحقيق رغباتهم ومصالحهم الخاصة، الأمر الذي يضعف لديهم محفزات العطاء والتضحية من أجل الآخرين[4] ، كما أنّ اعتقاد الفرد بأنّ الحياة لا تحمل معنى أو هدف قد ينعكس سلبًا على دافعيته للعمل والاجتهاد، حيث أظهرت الإحصائيات لدى من لا يؤمنون بوجود خالق مبدع للكون أن لديهم مستويات أقل من

(1)Frankl, Viktor E., Harold S. Kushner, and William J. Winslade. Man's Search for Meaning. Beacon Press, 2006, p. 107.

(٢) "خرافة الإلحاد"، عمرو شريف، ص٣٤٩

(3)Baumsteiger, Rachel, Tiffany Chenneville, and Joseph F. McGuire. "The Roles of Religiosity and Spirituality in Moral Reasoning." Ethics & Behavior, vol. 23, no. 4, 2013, pp. 266–282. p. 271.

(4)Saroglou, Vassilis, et al. "Prosocial Behavior and Religion: New Evidence Based on Projective Measures and Peer Ratings." Journal for the Scientific Study of Religion, vol. 44, no. 3, 2005, pp. 323–348, p. 337.

المبادرة، وانخفاضًا في المثابرة على السلوك الموجه نحو الهدف، وعدم مبالاة للقضايا الكبرى لدى المجتمع [1].

وفي المقابل الإيمان بخالق حكيم يستدعي قيمًا مطلقة راسخة في ضمائر الأفراد، ممَّا يجعل الأخلاق ثابتة غير قابلة للتفاوض[2] ، كما أن الوعي بأن هناك جهة عُليا نظمت الكون وتراقب تصرفات الكائنات يعزز التعاون والعطاء ويرفع مستويات المبادرة في المجتمع، أضف أن الرؤية الغائية للحياة تشجع الأفراد على تحمل المسؤولية والمثابرة على تحقيق الأهداف.

❁❁❁

(1)Park, Crystal L. "Making Sense of the Meaning Literature: An Integrative Review of Meaning Making and Its Effects on Adjustment to Stressful Life Events." Psychological Bulletin, vol. 136, no. 2, 2010, pp. 257–301, p. 264.

(2)Dembski, William A. Intelligent Design: The Bridge between Science & Theology. InterVarsity Press, 1999, p. 210.

المبحث الرابع

أثر الموازنة بين فرضية المصادفة ونظرية التصميم الذكي على توحيد العبد

عند الموازنة بين فرضية المصادفة ونظرية التصميم الذكي في تفسير نشأة الكون، يظهر ضعف فرضية المصادفة، فعلى الرغم من استنادها إلى بعض الأدلة العلمية، إلا أنها تبقى غير مقنعة ويظل العقل البشري معها في حيرة دائمة. في المقابل، تظهر قوة الأدلة التي اعتمدت عليها نظرية التصميم الذكي، وإن واجهت بعض الملاحظات المنهجية في الجانب التجريبي البحت، إلا أنها تعطي تفسيرًا متفوقًا وفق المنهج التاريخي.

يتأكد هذا التفوق إذا أخذنا بالاعتبار تعاضد نظرية التصميم الذكي مع الحدس البشري العميق، الذي يشعر بوجود خالق أبدع الوجود بنظام وإتقان، هذا الشعور الفطري الذي يُسمى في التصور الإسلامي بـ "دليل الفطرة"، تعززه الأدلة التي تقدمها النظرية.

كما أن الناظر يرى تميّز نظرية التصميم الذكي بتكامل براهينها الحسية والعقلية المنطقية والقياسية. فهي تنطلق من الملاحظة الدقيقة للكائنات الحية والظواهر الطبيعية التي تتسم بدرجة عالية من الدقة والتكامل الوظيفي المبدع، هذه الملاحظات الحسية تقود إلى استعمال الأدلة العقلية والمنطقية، التي تبدو في مقارنة الأنظمة الحية بنماذج التصميم البشري. فعلى سبيل المثال، تتكون الأجهزة الجزيئية داخل الخلية، كالسوط البكتيري، من أجزاء لا يمكن اختزالها دون فقدان وظيفتها، مما يشير بوضوح إلى تصميم مسبق لا مصادفة. كما تستند النظرية على الدليل القياسي المرتبط ببيانات وأرقام موضوعية، مثل المعلومات الهائلة المخزنة في شريط الحمض النووي (DNA) المسؤولة عن إنتاج البروتينات الأساسية للحياة. يضاف إلى ذلك، الدقة المتناهية للثوابت الكونية، كسرعة الضوء التي لو تغيرت ولو بنسب بسيطة لما نشأت الظروف المناسبة للحياة. كل هذه المعطيات تقود العقل إلى استنتاج أن الخلق لم يأتِ مصادفة، بل هو نتاج خالق حكيم عليم. هذه الأدلة التي تعتمد عليها نظرية التصميم الذكي تتفق تمامًا مع الأدلة التي يقدمها القرآن الكريم، الذي يأمر الإنسان بتوظيف حواسه للملاحظة والتأمل في الخلق، في نفسه وفي ملكوت السماوات والأرض، ثم يحثه على استخدام عقله بعمليات

التفكير العلمي الصحيح للوصول إلى الحقيقة. قال تتعالى:﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾ [الذاريات: ٢١] ، وقال عز وجل ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس: ١٠١].

ومع انسجام منهجية التصميم الذكي مع منهج القرآن في الاستدلال على وجود الخالق، إلا أن الاعتقاد بها لا يكفي للوصول للحق، حيث تبقى دليل فقط يقود إلى إثبات خالق أبدع الكون دون معرفة صفاته، فيأتي توحيد الربوبية ليحدد صفات الخالق وأفعاله كما وردت في القرآن والسنة، ففي الإسلام المبدع للكون والمدبِّر لكل شيء هو الله سبحانه وتعالى، عندها يصل العبد إلى الحقَّ ويعلمُ ما يجب عليه تجاه فاطر الكون، مع العلم أن التصميم الذكي له دور فعَّال في الدفاع عن التوحيد ضد الشبهات الإلحادية و يمثِّلُ الدليل العلمي والعقلي الأنسب الذي يقدم للمتشككين في وجود الله تعالى، حيث أن العبد عندما يتشكك بوجود الخالق يبحث عن الأدلة الحسية الي يراها ويشعر بها، فتأتي أدلة نظرية التصميم الذكي من: الأنظمة المعقدة ، والتعقيد غير القابل للاختزال، والضبط الدقيق في الكون فتُشبع هذا الجانب لديه، فالتصميم الذكي يحوِّل الحُجَج إلى أرضيةٍ مشتركة بين العلم والمنطق، دون الارتكاز على المشاعر الدينية الخالصة، ما يُسَهل إقناع الباحثين عن أدلة علمية عقلانية لإثبات وجود خالقٍ حكيمٍ وراء هذا الكون؛ لذا فإن أدلة التصميم الذكي تُعزِّز الإيمان بأن الله هو الخالق المُدبِّر المبدع، وتعطي إجابات منطقية للأسئلة حول أصل الكون والحياة التي قد تُثيرها الشبهات الإلحادية.

❁❁❁

الخاتمة

بعد عرض الدراسة لفرضية المصادفة ونظرية التصميم الذكي ونقاط المقارنة الجوهرية بينهما، نخلُص إلى نتائج أهمها:

١. فرضية المصادفة تعتمد فلسفة مادية وترى أن التعقيد في الطبيعة ناتج عن عمليات عشوائية متشابكة، رافضة فكرة وجود غاية أو هدف، بينما التصميم الذكي يرى أن التعقيد في الأنظمة الحيوية والكونية لا يمكن أن يكون عشوائيًا، بل هو دليل وجود مصمم ذكي وضع هذا النظام لغاية معينة.

٢. تعود الجذور الفكرية لمفهومي المصادفة والتصميم الذكي إلى الفلسفات القديمة. ومع انطلاق النهضة العلمية الحديثة، خضع المفهومان للتأطير النظري، وسعى العلماء إلى تدعيمهما بأدلة علمية منهجية.

٣. تلتزم المصادفة بالمنهج العلمي التجريبي الصارم؛ حيث تقتصر على التفسيرات الطبيعية المادية وتستبعد افتراضات إضافية خارج نطاق الطبيعة، بينما التصميم الذكي تتبع المنهج العلمي التجريبي لكنها توسع نطاقه ليشمل الاستدلال على أفضل تفسير.

٤. تُظهر المقارنة بين أدلة الفرضيتين إلى أن الصدفة رغم اعتمادها على المنهج التجريبيّ والعلميّ، إلا أنها عاجزة عن تقديم تفسير مقنع لجميع درجات التعقيد الحيوي والكوني، أما نظرية التصميم الذكي، فتقدّم إطارًا تفسيريًا أوسع يمتاز بأدلة أشمل تسدّ بعض الثغرات المنهجية والعلمية، مع الحاجة إلى المواصلة في استدراك التحديات البحثية في المجال التجريبي للتحقق من مدى صلابة مقاييسها وموثوقية أدلّتها.

٥. يقترن الإيمان بالتصميم الذكي بعلو الإيجابية والفاعلية في شخصية الفرد، وبمزيد من العمق للمسؤولية الأخلاقية والدافعية المجتمعية، على نحو يفوق ما يقارن الإيمان بالمصادفة.

٦. التصميم الذكي يتكامل مع توحيد الربوبية، كدليل علمي عقلي يثبت خالقًا مدبرًا، ثم يتبعه علم التوحيد في العقيدة الإسلامية لمعرفة صفات الخالق تعالى وواجب العبد تجاهه.

٧. يعتبر التصميم الذكي الدليل العلمي العقلي الأنسب في محاجَّة الملحدين ودفع شبهاتهم؛ لإثبات مبدع للكون.

أما عن أهم التوصيات لهذه الدراسة:

١. السعي إلى تأييد الأدلة الشرعية بالأدلة العلمية التجريبية في مواجهة ومحاجة الملحدين، وذلك في ضوء الحقائق التي أثبتها العلم التجريبي الحديث.

٢. التوجيه إلى دراسة نظرية التصميم الذكي من خلال أدلة الفكر الإسلامي المعاصر.

٣. الاهتمام بإلقاء الضوء من الناحية البحثية على أثر قبول فرضية المصادفة في تفسير نشأة الكون في سلوكيات الفرد سواء المتعلقة بذاته أو بمجتمعه مثل: العطاء، والصدقة، والرحمة، وربطه بمباحث القيم الأخلاقية غير المنسوبة للعلة في الفلسفة الدينية.

المصادر والمراجع

١. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم .بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية .الأولى، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

٢. ابن رشد، أحمد .الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة .ط. ١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م.

٣. ابن فارس، أحمد بن زكرياء . مقاييس اللغة .المحقق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٤. أيدون، سيرل. فضولية العلم .ترجمة: أحمد مغربي، الكويت: مركز البابطين للترجمة، ٢٠٠٧م.

٥. باومر، فرانكلين .الفكر الأوروبي الحديث .ترجمة: أحمد حمدي محمود، ط. ١، مصر: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

٦. بدوي، عبد الرحمن .موسوعة الفلسفة .ط. ١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤م.

٧. بيهي، مايكل .العلم ودليل التصميم في الكون .ط. ١، تكوين للدراسات والأبحاث، ٢٠١٦م.

٨. بيهي، مايكل .صندوق داروين الأسود: تحدي الكيمياء الحيوية للتطور .ترجمة: مؤمن الحسن وآخرون، ط. ١، دار الكتاب للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.

٩. الجسر، نديم .قصة الإيمان بين العلم والفلسفة والقرآن .لبنان: المكتب الإسلامي.

١٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد .الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية .ط. ٤، بيروت: دار الملايين، ١٩٩٠م.

١١. جينز، جيمس .الفيزياء والفلسفة .ترجمة: جعفر رجب، القاهرة: دار المعارف.

١٢. الحنفي، عبد المنعم .المعجم الفلسفي .ط. ١، مصر: الدار الشرقية، ١٤١٠هـ.

١٣. خطاط، عبد الوهاب بن البشير" .الصدفة والضرورة بين الماكروفيزياء والميكروفيزياء أو بين داروين وجاك مونو ".مجلة المفكر للدراسات القانونية والسياسية، العدد ٣، ٢٠٢٠م.

١٤. داروين، تشارلز .أصل الأنواع .ترجمة: إسماعيل مظهر، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م.

١٥. ديمبسكي، ويليام ; ويلز، جوناثان .التصميم الذكي ومفهوم التعقيد المحدد .ترجمة: مؤمن الحسن وآخرون، ط. ١، مركز براهين للأبحاث والدراسات، ٢٠١٦م.

١٦. ديمبسكي، ويليام ; ويلز، جوناثان .تصميم الحياة: اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية .ترجمة: موسى إدريس، مؤمن الحسن، ٢٠١٥م.

١٧. راسل، برتراند .تاريخ الفلسفة الغربية .ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، مصر: الدار المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

١٨. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد .المفردات في غريب القرآن .ط. ١، دمشق– بيروت: دار القلم – الدار الشامية، ١٤١٢هـ.

١٩. رسل، برتراند .فلسفتي كيف تطوّرت .ترجمة: عبد الرشيد الصادق، ط. ١، مكتبة الفلسفة، ١٩٦٠م.

٢٠. سلطان، محمد هشام .العقيدة والفكر الإسلامي .ط. ١، مكتبة الرحاب، ١٤٠٨هـ.

٢١. شريف، عمرو .خرافة الإلحاد .مكتبة الشروق الدولية.

٢٢. الشهري، عبد الله بن سعيد .ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان .ط. ١، بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات.

٢٣. الطائي، محمد باسل .خلق الكون بين العلم والإيمان .ط. ١، دار النفائس، ١٩٩٨م.

٢٤. العالم، محمود أمين .فلسفة المصادفة .ط. ١، القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م.

٢٥. عبد الله، أحمد شوقي إبراهيم علي .نظرية التصميم الذكي بين القبول والرفض".الدراية (جامعة الأزهر – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق)، العدد ١٩، ٢٠٢٠م.

٢٦. العجيري، عبد الله بن صالح .شموع النهار: إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي .تكوين للدراسات والأبحاث، ٢٠١٦م.

٢٧. العمرو، آمال بنت عبد العزيز .الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية .الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٢م.

٢٨. العميري، سلطان .ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث .الطبعة الثانية، لندن: تكوين للدراسات والأبحاث، ١٤٣٩هـ.

٢٩. فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن .المباحث المشرقية .ط. ١، انتشار بيدار، ١٣٧٠هـ.

٣٠. القرني، عبد الله .المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها .ط. ٢، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ٢٠٠٨م.

٣١. كرم، يوسف بطرس .تاريخ الفلسفة الحديثة .ط. ٥، الجيزة: دار الكتب المصرية.

٣٢. كلوفرمونسيما، جون .الله يتجلّى في عصر العلم .ترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان، دار القلم.

٣٣. لالاند، أندريه .موسوعة لالاند الفلسفية .تعريب: خليل أحمد خليل، ط. ٢، بيروت– باريس: منشورات عويدات، ٢٠٠١م.

٣٤. لينكس، جون .أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين .جمعه وعلق عليه: م. أحمد حسن، ط. ١، الرياض: مركز دلائل، ١٤٣٧هـ.

٣٥. ماير، ستيفن .التصميم الذكي: الفلسفة وتاريخ النظرية .ترجمة: محمد طه، عبد الله أبولوز، ط. ١، مركز براهين للأبحاث والدراسات، ٢٠١٦م.

٣٦. ماير، ستيفن .توقيع في الخلية: الدنا وأدلة التصميم الذكي .ترجمة: أسامة إبراهيم، الآء حسكي، محمد القاضي، مهند التومي، ط. ١، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م.

٣٧. المريض، محمد ضو إبراهيم" .التفسير الطبيعي في العصر الهيلينستي ".مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي.

٣٨. مصطفى نصر قديح .الصنع المتقن: دلالات الفيزياء على وجود الخالق .الرياض: دار وقف دلائل للنشر، ١٤٣٨هـ.

٣٩. المعجم الفلسفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة .القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ.

٤٠. مونو، جاك .المصادفة والضرورة: محاولة في الفلسفة الطبيعية للبيولوجيا الحديثة. ترجمة: عصام المياس، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

٤١. النشار، علي سامي .نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام .ط. ٩، القاهرة: دار المعارف.

٤٢. نفادي، السيد .الضرورة والاحتمال بين فلسفة العلم .دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م.

المراجع الأجنبية:

1. A.H. Dictionary. The American Heritage Dictionary. Fifth Edition: Office Edition. Houghton Mifflin Harcourt Publishing Company, 2012.
2. Baumsteiger, Rachel; Tiffany Chenneville; Joseph F. McGuire. "The Roles of Religiosity and Spirituality in Moral Reasoning." Ethics & Behavior, vol. 23, no. 4, 2013, pp. 266–282.
3. Dembski, William A. Intelligent Design: The Bridge between Science & Theology. InterVarsity Press, 1999.
4. Frankl, Viktor E.; Harold S. Kushner; William J. Winslade. Man's Search for Meaning. Beacon Press, 2006.

5. Hazen, Robert M. “Chance, Necessity and the Origins of Life: A Physical Sciences Perspective.” Philosophical Transactions of the Royal Society A: Mathematical, Physical and Engineering Sciences, vol. 375, no. 2109, 2017, article 20160353.
6. Johnson, Vicki D. “A Contemporary Controversy in American Education: Including Intelligent Design in the Science Curriculum.” The Educational Forum, vol. 70, no. 3, 2006, pp. 222–236.
7. Paley, William; Horace Holley. Natural Theology: Or, Evidences of the Existence and Attributes of the Deity, Collected from the Appearances of Nature. Printed for John Morgan by H. Maxwell, 1802.
8. Park, Crystal L. “Making Sense of the Meaning Literature: An Integrative Review of Meaning Making and Its Effects on Adjustment to Stressful Life Events.” Psychological Bulletin, vol. 136, no. 2, 2010, pp. 257–301.
9. Saroglou, Vassilis, et al. “Prosocial Behavior and Religion: New Evidence Based on Projective Measures and Peer Ratings.” Journal for the Scientific Study of Religion, vol. 44, no. 3, 2005, pp. 323–348.
10. Wells, Julian. “The Dogs That Didn’t Bark: Marx and Engels and Statistical Fatalism.” MPRA Paper, 2006.

رومنة المصادر والمراجع

1. Ibn Taymiyya, Ahmad ibn ʿAbd al-Halim. Bayan Talbis al-Jahmiyya fi Ta'sis Bidʿahum al-Kalamiyya. al-Ṭabʿah al-ūlā, al-Madīnah al-Munawwarah: Mujammaʿ al-Malik Fahd li-Ṭibāʿat al-Muṣḥaf al-Sharīf, 1426 H.
2. Ibn Rushd, Ahmad. al-Kashf ʿan Manāhij al-Adillah fi ʿAqāʾid al-Millah. Ṭ. 1, Bayrūt: Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-ʿArabiyya, 1998.
3. Ibn Fāris, Ahmad ibn Zakariyā. Maqāyīs al-Lughah. Taḥqīq: ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Bayrūt: Dār al-Fikr, 1399 H–1979.
4. Aydon, Cyril. Fuḍūliyat al-ʿIlm. Tarjama: Ahmad Maghribī, al-Kuwayt: Markaz al-Bābṭīn lil-Tarjama, 2007.
5. Baumer, Franklin. al-Fikr al-Urūbī al-Ḥadīth. Tarjama: Ahmad Ḥamdī Maḥmūd, Ṭ. 1, Miṣr: al-Hayʾah al-ʿĀmmah lil-Kitāb, 1989.
6. Badawī, ʿAbd al-Raḥmān. Mawsūʿat al-Falsafah. Ṭ. 1, Bayrūt: al-Muʾassasah al-ʿArabiyya lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, 1984.
7. Behe, Michael. Ṣundūq Dārwīn al-Aswad: Taḥaddī al-Kīmiyāʾ al-Ḥayawiyya li-l-Tatawwur. Tarjama: Muʾmin al-Ḥasan wa-Ākharūn, Ṭ. 1, Dār al-Kitāb li-l-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 2014.
8. Behe, Michael. al-ʿIlm wa-Dalīl al-Taṣmīm fi al-Kawn. Ṭ. 1, Takwīn li-l-Dirāsāt wa-al-Abḥāth, 2016.
9. al-Jisr, Nadīm. Qiṣṣat al-Īmān bayn al-ʿIlm wa-al-Falsafah wa-al-Qurʾān. Lubnān: al-Maktab al-Islāmī.
10. al-Jawharī, Ismāʿīl ibn Ḥammād. al-Ṣiḥāḥ: Tāj al-Lughah wa-Ṣiḥāḥ al-ʿArabiyyah. Ṭ. 4, Bayrūt: Dār al-Malāyīn, 1990.

11. Jeans, James. al-Fīziyāʾ wa-al-Falsafah. Tarjama: Jaʿfar Rajab, al-Qāhirah: Dār al-Maʿārif.
12. al-Ḥanafī, ʿAbd al-Munʿim. al-Muʿjam al-Falsafī. Ṭ. 1, Miṣr: al-Dār al-Sharqiyyah, 1410 H.
13. Khaṭāṭ, ʿAbd al-Wahhāb ibn al-Bashīr. "al-Ṣudfah wa-al-Ḍarūrah bayn al-Mākrofīziyāʾ wa-al-Mīkrofīziyāʾ aw bayn Dārwīn wa-Jāk Mūnū." Majallat al-Mufakkir li-Dirāsāt al-Qānūn wa-al-Siyāsah, no. 3, 2020.
14. Darwin, Charles. Aṣl al-Anwāʿ. Tarjama: Ismāʿīl Maẓhar, al-Mamlakah al-Muttaḥidah: Muʾassasat Hindāwī, 2017.
15. Dembski, William and Jonathan Wells. al-Taṣmīm al-Dhakkī wa-Mafhūm al-Taʿqīd al-Muḥaddad. Tarjama: Muʾmin al-Ḥasan wa-Ākharūn, Ṭ. 1, Markaz Barāhīn li-l-Abḥāth wa-al-Dirāsāt, 2016.
16. Dembski, William and Jonathan Wells. Taṣmīm al-Ḥayāh: Iktishāf ʿAlāmāt al-Dhakkāʾ fi al-Nuẓum al-Biyūlūjiyyah. Tarjama: Mūsā Idrīs, Muʾmin al-Ḥasan, 2015.
17. al-Rāghib al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad. al-Mufradāt fi Gharīb al-Qurʾān. Ṭ. 1, Dimashq–Bayrūt: Dār al-Qalam – al-Dār al-Shāmiyyah, 1412 H.
18. Russell, Bertrand. Tārīkh al-Falsafah al-Gharbiyyah. Tarjama: Muḥammad Fatḥī al-Shanīṭī, Miṣr: al-Dār al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb, 1977.
19. Russell, Bertrand. Falsafatī Kayfa Tatawwarat. Tarjama: ʿAbd al-Rashīd al-Ṣādiq, Ṭ. 1, Maktabat al-Falsafah, 1960.

20. Sulṭān, Muḥammad Hishām. al-ʿAqīdah wa-al-Fikr al-Islāmī. Ṭ. 1, Maktabat al-Riḥāb, 1408 H.
21. Sharīf, ʿAmr. Khurāfat al-Ilḥād. Maktabat al-Shurūq al-Duwaliyyah.
22. al-Shahri, ʿAbd Allāh ibn Saʿīd. Thalāth Rasāʾil fi al-Ilḥād wa-al-ʿIlm wa-al-Īmān. Ṭ. 1, Bayrūt: Markaz Namāʾ li-l-Buḥūth wa-al-Dirāsāt.
23. al-Ṭāʾī, Muḥammad Bāsil. Khalq al-Kawn bayn al-ʿIlm wa-al-Īmān. Ṭ. 1, Dār al-Nafāʾis, 1998.
24. al-ʿĀlam, Maḥmūd Amīn. Falsafat al-Muṣādafah. Ṭ. 1, al-Qāhirah: Maktabat al-Usrah, 2003.
25. ʿAbd Allāh, Aḥmad Shawqī Ibrāhīm ʿAlī. "Naẓariyyat al-Taṣmīm al-Dhakkī bayn al-Qabūl wa-al-Rafd." al-Dirāyah (Jāmiʿat al-Azhar – Kulliyyat al-Dirāsāt al-Islāmiyyah wa-al-ʿArabiyyah lil-Banīn bi-Dasūq), no. 19, 2020.
26. al-ʿAjīrī, ʿAbd Allāh ibn Ṣāliḥ. Shumūʿ al-Nahār: Iṭlālah ʿalā al-Jadal al-Dīnī al-Ilḥādī al-Muʿāṣir fi Masʾalat al-Wujūd al-Ilāhī. Takwīn li-l-Dirāsāt wa-al-Abḥāth, 2016.
27. al-ʿAmrū, Āmāl bint ʿAbd al-ʿAzīz. al-Alfāẓ wa-al-Muṣṭalaḥāt al-Mutaʿalliqa bi-Tawḥīd al-Rubūbiyyah. al-Riyāḍ: Jāmiʿat al-Imām Muḥammad ibn Saʿūd al-Islāmiyyah, 2012.
28. al-ʿUmayrī, Sulṭān. Ẓāhirat Naqd al-Dīn fi al-Fikr al-Gharbī al-Ḥadīth. Ṭ. 2, Landan: Takwīn li-l-Dirāsāt wa-al-Abḥāth, 1439 H.
29. Fakhr al-Dīn al-Rāzī, Muḥammad ibn ʿUmar ibn al-Ḥasan. al-Mabāḥith al-Mashriqiyyah. Ṭ. 1, Intishār Bīdār, 1370 H.

30. al-Qarnī, ʿAbd Allāh. al-Maʿrifah fi al-Islām: Maṣādiruhā wa-Majālātuhā. Ṭ. 2, Markaz al-Taʾṣīl li-l-Dirāsāt wa-al-Buḥūth, 2008.
31. Karam, Yūsuf Buṭrus. Tārīkh al-Falsafah al-Ḥadīthah. Ṭ. 5, al-Jīzah: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.
32. Kluvromansimā, Jūn. Allāh Yatajallā fī ʿAṣr al-ʿIlm. Tarjama: al-Damirdāsh ʿAbd al-Majīd Sarḥān, Dār al-Qalam.
33. Lalande, André. Mawsūʿat Lālānd al-Falsafiyyah. Taʿrīb: Khalīl Aḥmad Khalīl, Ṭ. 2, Bayrūt–Parīs: Manshūrāt ʿAwīdāt, 2001.
34. Lennox, John. Aqwā Barāhīn D. John Lennox fi Tafnīd Mughālātāt Munkirī al-Dīn. Jamaʿahu wa-ʿallaqa ʿalayhi: M. Aḥmad Ḥasan, Ṭ. 1, al-Riyāḍ: Markaz Dalāʾil, 1437 H.
35. Meyer, Stephen. al-Taṣmīm al-Dhakkī: al-Falsafah wa-Tārīkh al-Naẓariyyah. Tarjama: Muḥammad Ṭahā, ʿAbd Allāh Abūlūz, Ṭ. 1, Markaz Barāhīn li-l-Abḥāth wa-al-Dirāsāt, 2016.
36. Meyer, Stephen. Tawqīʿ fī al-Khalīyah: al-DNA wa-Adillat al-Taṣmīm al-Dhakkī. Tarjama: Usāmah Ibrāhīm, Ālāʾ Ḥaskī, Muḥammad al-Qāḍī, Muhannad al-Tūmī, Ṭ. 1, al-Dār al-Duwaliyyah li-l-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 2017.
37. al-Muʿjam al-Falsafī, Majmaʿ al-Lughah al-ʿArabiyyah bi-l-Qāhirah. al-Qāhirah: al-Hayʾah al-ʿĀmmah li-Shuʾūn al-Maṭābiʿ al-Amīriyyah, 1403 H.
38. al-Marīḍ, Muḥammad Ḍaw Ibrāhīm. "al-Tafsīr al-Ṭabīʿī fi al-ʿAṣr al-Hīlīnīstī." Majallat Shamal Ifrīqiyyā li-l-Nashr al-ʿIlmī.

39. Muṣṭafā Naṣr Qadīḥ. al-Ṣunʿ al-Mutqan: Dalālāt al-Fīziyāʾ ʿalā Wujūd al-Khāliq. al-Riyāḍ: Dār Waqf Dalāʾil li-l-Nashr, 1438 H.

40. Monod, Jacques. al-Muṣādafah wa-al-Ḍarūrah: Muḥāwalat fi al-Falsafah al-Ṭabīʿiyyah li-l-Biyūlūjiyā al-Ḥadīthah. Tarjama: ʿIṣām al-Mayyās, Bayrūt: Maʿhad al-Inmāʾ al-ʿArabī, 1988.

41. al-Nashshār, ʿAlī Sāmī. Nashʾat al-Fikr al-Falsafī fi al-Islām. Ṭ. 9, al-Qāhirah: Dār al-Maʿārif.

42. Nafādī, al-Sayyid. al-Ḍarūrah wa-al-Iḥtimāl bayn Falsafat al-ʿIlm. Dār al-Tanwīr li-l-Ṭibāʿah wa-al-Nashr, 2009.